العدد الخامس- السنة الثالثة
(المحرم ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م)

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com

ملتقى أهل اللغة

مجلة
ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية، والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية

تصدر مرتين سنويا

من موضوعات العدد

عضو أم عضوة ومسائل أخر
فيصل المنصور
التشبيه المعكوس
صالح العمري
فتاوى عروضية
محمود مرسي
ضبط اسم كتاب الصحاح بين الفتح والكسر
أحمد الشنقيطي
تنبيهات على مواضع من كتاب الوحشيات (٢)
صالح العمري
إبداعات أدبية
حوار الملتقى للأستاذ منصور مهران

مجلة
ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية
والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية
لأعضاء ملتقى أهل اللغة

تصدر مرتين سنويا

المحرم
١٤٣٦هـ

هيئة التحرير
عمار الخطيب
رضوان بن محمد
محمد بن إبراهيم
عائشة بنت علي

التصميم والإخراج
رضوان بن محمد
عمار الخطيب

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

عضو أم عضوة ومسائل أخر

فيصل المنصور

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ النَّحْوِ والتَّصْرِيفِ)

« عُضوٌ » أم « عُضوةٌ » ؟

ومَسائلُ أُخَرُ

نصَّ مجمعُ اللغةِ العربيَّةِ بالقاهرةِ على هذا القَرارِ : « لا يجوزُ في ألقابِ المناصبِ والأعمالِ اسمًا كانَ أو صفةً أن يوصَفَ المؤنَّثُ بالتَّذكيرِ ؛ فلا يقالُ : فلانة أستاذٌ ، أو عضوٌ ، أو رئيسٌ ، أو مديرٌ » . [1]

وهذا القَرارُ تخليطٌ فاحِشٌ !

***

وأنا مبتدئٌ في تفصيلِ هذه المسألةِ بذكرِ ما هَداني إليهِ الاستقراءُ أوَّلًا :

فالأسماءُ نوعانِ : جامدةٌ ، ومُشتقَّةٌ .

---

(١) في (أصولِ اللُّغةِ : ٣ / ٥٩) ، و(القراراتِ النحويَّةِ والتصريفيَّةِ لمجمعِ اللُّغةِ العربيَّةِ بالقاهرةِ : ٥٠٨ =

* فأمَّا المشتقَّةُ :

١. فالأكثرُ فيها أن يُفصَلَ مؤنَّثُها عن مذكَّرِها بالتاءِ ، أو بغيرِها من علاماتِ التأنيثِ ؛ نحوُ : (ذاهب ، وذاهبة) .

٢. وربَّما لزمتِ العربُ تذكيرَه في بعضِ الأبنيةِ ، كـ (فَعول) بمعنى (فاعل) ، وكـ (مِفعال) .

٣. فأمَّا إذا كانَ معنى المشتقِّ مما يغلبُ أن يقومَ بالمذكَّرِ ؛ فإنَّ لكَ فيهِ وجهينِ :

١. أحدُهما أن تُجرِّدَه من التاءِ مطلقًا .

٢. والآخرُ أن تُبقيَه على الأصلِ ؛ فتَفصلَ مؤنَّثَه عن مذكَّرِهِ بالتاءِ .

والأوَّلُ أحسنُ . ومن أمثلةِ هذا الضربِ قولُك : (الشاهد ، والشاهدة) ، و(أمير المؤمنين ، وأميرة المؤمنين) ، و(الوكيل ، والوكيلة) ، و(الرئيس ، والرئيسة) ، و(المُدير ، والمُديرة) .

* وأمَّا الجامدةُ :

١. فإن كانت ممَّا له مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ حقيقيَّانِ ، فإنه يجِبُ تأنيث مؤنَّثه ، وتذكير

= ٥١٠) . وانظر أيضًا : (لجامَ الأقلامِ) لأبي تراب الظاهري (٢٢٣ - ٢٢٥) ، و(معجمَ أخطاءِ الكتَّابِ) للزعبلاوي (١٣ – ١٤) ، و(٤٠٤ – ٤٠٥) .

مذكَّرِه . وقد استعملَ العربُ لذلك ثلاثةَ أوجهٍ :

١. الأوَّلُ : أن تفصلَ المؤنَّثَ عن المذكَّرِ بلفظٍ يخالفُه ، كما قالوا : (حمار ، وأتان) ، و (تيس ، وعنز) . وهو الأكثرُ .

٢. الثاني : أن تفصِل المؤنَّثَ عن المذكَّر بالتاءِ ، كما تفعلُ في المشتقِّ ؛ ومن ذلكَ (أسَد ، وأسدة) ، و (حمار ، وحمارة) .

٣. الثالث : أن تـجعلَ للمذكَّر والمؤنَّث لفظًا واحدًا ، إمَّا مختومًا بالتاءِ ، وإمـا غـيرَ مـختومٍ ؛ فمن الأولِ نحـوُ : (فرس) . ومن الثـاني نحوُ : (حمامة) . وللتفصيلِ في هذا ، والتعليلِ مَقامٌ آخرُ .

٢. وأمَّا الاسمُ الجامدُ الذي ليسَ له مذكَّرٌ ومؤنَّثٌ حقيقيَّانِ ، فإنَّ العربَ تستعملُ له لفظًا أو ألفاظًا ، ولا تلتزمُ فيهِ وجهًا :

- فربَّمـا جعلوه مذكَّرًا ؛ نحو (قَلَم) ، و(قمَر) .
- وربَّمـا جعلوه مؤنَّثًا : إما تأنيثًا بعلامةٍ ؛ نحو (ظُلْمة) .

  أو بغيرِ علامةٍ ؛ نحو (شمس) .
- وربما جعلوه مذكَّرًا مؤنَّثًا ؛ نحو (حالٍ) ، و(دِرْعٍ) .

وهذا الضربُ – أعني غيرَ الحقيقيِّ – ليسَ له وجـهٌ ثابتٌ في لُغاتِ العالَمِ ؛ بل

هيَ في أمرٍ منه مختلِفٍ .

فهذا سبيلُ الاستقراءِ ، قدَّمناه إليكَ موجَزًا .

* * *

أمَّا بيانُ وجهِ القياسِ في ذلكَ ، فنقولُ : لا يخلو ما يرِدُ عليكَ أن يكونَ أحدَ ضربينِ :

* الضربُ الأوَّلُ :

أن يكون لفظًا مُشتقًّا ؛ وهو هنا اسمُ الفاعل ، والـمفعول ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبَّهة ، أو لفظًا موافِقًا في معناه لمعنَى المشتقِّ ، كـ (أستاذ) ، و(تلمـيذ) ؛ ألا ترَى أن معنَى (أستاذٍ) : (معلِّم) [٢] ، و معنى (تلميذٍ) : (متعلِّم) [٣] .

---

(٢) هو لفظٌ معرَّب عن الفارسيَّة ، أصلُه (أُستاد) . ولم يرِد في شيءٍ من شِعر الجاهليِّين ؛ انظر : (اللامعَ العزيزي شرح ديوان المتنبي) لأبي العلاء المعرِّي (١ / ٢٧) ، و(المعرَّبَ) للجواليقي (ص : ٢٥) ، تح : شاكر ، و(تاجَ العروس : س ت ذ) ، و(كتابَ الألفاظِ الفارسيَّة المعرَّبة) لأدي شير(ص : ١٠) ، و(تفسيرَ الألفاظِ الدخيلةِ) لطوبيا العنيسي (ص : ٢) .

(٣) هو لفظٌ معرَّبٌ عن العبرانيَّةِ ، أصلُه (تَلْمِـيد) ، ومعناه : (متعلِّم) . وقيلَ : هو معرَّبٌ عن غيرِها . وقد وردَ في قليـلٍ من الشعرِ الجاهليِّ بالدالِ ، والذالِ ، وبحذفِـها ؛ إذْ كان أصلُه أعجميًّا ؛ والعربُ تتصرَّفُ في =

والعربُ كثيرًا ما تحملُ الشيءَ على الشيءِ لعُلقةٍ بينَهما في المعنى ، وإن لم يجرِ لفظُه على قياسِه ، كمـا فعلوا في بعضِ الأسمـاءِ الجامدةِ في النعتِ ، والحالِ . وممَّا يشهدُ

= الكلِم الأعجميِّ ما لا تتصرَّفُ في غيره . واستعملوُه بمعنى : (الخادِم عندَ صاحبِ الصنعةِ ، المعينِ له) من قِبَلِ أن الخِدمةَ تعلُّمٌ ، أو مِن لازمِها التعلُّم . ومعنَى (التعلُّم) في العبرانيَّةِ عامٌّ . أمَّا معناهُ في العربيَّة قديمًا فمُخصَّصٌ كمـا ترَى . وقد توسَّعَ المتأخِّرون فيهِ ؛ فأصبحَ (المتعلِّم) بإطلاقٍ ، وأجروه مُجرى الأسمـاءِ ، كـمـا فَعلوا في (صاحبٍ) ونحوِه . وانظر : (شرحَ مقاماتِ الحريريِّ) للشريشيِّ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم (١/ ٧٠) ، و(المعرَّبَ) للجواليقي (ص : ٩١) ، و(رسالةَ التلميذِ) للبغداديِّ في (نوادر المخطوطات) ، تح : هـارون (١ / ٢٤٣) ، مع مقدمة الـمحقِّقِ ، و(تفسيرَ الألفاظِ الدخيلةِ) للعنيسي (ص : ١٨) .

فإذا أردتَّ تصريفَه ، قلتَ : « تلمذَه » على زنةِ (فعلَلَه) إذا جعلَه تلميذًا له ؛ قال أميَّة بنُ أبي الصلتِ :

فَمَضى وأَصْعَدَ واستَبَدَّ إقامةً بأُلي قُـوًى فمُـبتَّـلٌ ومُتـلْمَدُ

فـ « تتلمذَ له » ، و« تتلمذَ عليهِ » ؛ فالأُولَى : فيها معنَى الخدمةِ ، والتبعيَّةِ ، كما تقولُ : « وزرَ له » . والثانية : متمحِّضة الدِّلالة على التعلُّم . وإنما عُدِّيت بـ (علَى) إذْ كانت بمعناهُ . أمَّا زعمُ صاحبِ (معجم الأغلاط اللغوية) أنَّ هذا لا يَجوزُ ، وأن الصوابَ (تلـمذَ له) ، فزعمٌ باطلٌ ، ما كان حجَّتَه فيـهِ إلا (محيطُ المحيط) ، و(أقربُ الموارد) ، و(المتنُ) ، و(الوسيطُ) ، و(الـمدُّ) ! وأزيدُه (رسالةَ التلميذِ) . وذلك أنَّ السمـاعَ لم يرِد إلا بـ « تلمـذَه » إذا جعله تلميذًا له ؛ فكان القـياس أن تكـونَ المطاوعة منـه على (تفعللَ) بزيـادة التاء ، لا (فعـللَ) ، كمـا تقول : « دحرجه فتدحرج » ، لأن القياسَ إنمـا يكونُ على الأكثرِ ؛ وهذا هو الأكثرُ . أمَّا (فعللَه ففَعلل) ، فلا أعرفه إلا أن يكون نادرًا .

لهذا أنَّهم جمعوا الأوَّلَ منهمـا جمعَ مذكَّرٍ سالمًا ؛ فقالوا : (الأستاذُونَ) ؛ إذ كانَ بهـذا المعنى . ولولا ذلكَ ، لما جازَ . وممَّن صنَعَ هذا ابنُ قتيبةَ [٤] ، والحريريُّ [٥] . ولو جمعتَ (تلميذًا) على (تلميذِينَ) ، لم تكن مخطئًا . [٦]

فإن قلتَ : وأيُّ شيءٍ أجازَ لهم هذا ؟

قلتُ : لأنَّ المحدَثَ إذا صادفَ كلمةً لا يعرِف مَذهبَ العربِ في بعضِ تصاريفِها ، فإنه يَحملُها على الكثيرِ الغالبِ . فإن اعترضَه وجهانِ أو أزيدُ مُتقاربانِ في الكثرةِ ، حملَ الكلمةَ عليهما معًا ؛ ولو كانَ أحدُهما أكثرَ ، كما في مَصادرِ الثلاثيِّ ، ومُضارِعِه ، وأبنيةِ المبالغةِ .

و(أستاذ) منَ الألفاظِ التي لـم يستعملْها العربُ ؛ فلمَّـا أردنا جمعَها للحاجةِ

---

(٤) (أدب الكاتب – ص : ١٨) ، تح : الدالي .

(٥) (مقاماته – ص : ٣١١) ، ط : دار الكتب العلمية .

(٦) ومن جنسِ (أستاذ) ، و(تلميذ) قولُهم : « أبيل الأبيلينَ » ؛ قالَ الشاعرُ :

وما قدَّسَ الرهبانُ في كلِّ هيكلٍ أبيلَ الأبيـلينَ المسيحَ بنَ مريمَـا

فجمـعوه جـمعَ تصحيحٍ لـمَّـا كانَ معناه معنَى الـمشتقِّ ؛ إذِ (الأبِيلُ) كلمةٌ سريانيَّـة الأصلِ يطلقـونَها على (رئيس النصارَى) .

المعنويَّةِ ، جمعناها جمعَ تكسيرٍ ، كمـا هو القياسُ المطَّرِدُ ؛ فقلنا : (أساتيذ) على الأصلِ ، و(أساتذة) على الحذفِ ، والتعويضِ . ولما كان معناها معنى المشتقِّ ، جمعناها أيضًا جمعَ مذكَّرٍ سالمًا ، ولم نكتفِ بأحد الجمعَينِ ؛ إذْ كانا مُتقارِبَين في الكثرةِ ، وكانَ القياسُ يُجيزُهما معًا ، كما قالوا : (راكعونَ) ، و (رُكَّعٌ) .

وهذا الأصلُ في القياسِ يُفهَمُ من قولِ سيبويه : « وإذا جاءَ شيءٌ مثلُ (بُرَة) لم تجمعْه العربُ ، ثم قِستَ ، ألحقتَ التاءَ ، والواوَ والنونَ ، لأنَّ الأكثرَ مـمَّـا فيه هاءُ التأنيثِ من الأسمـاءِ التي على حرفَينِ جُمِعَ بالتاءِ ، والواوِ والنونِ ، ولـم يُكسَّر على الأصلِ » اهـ[7]

على أنَّ زعمَه أنَّ الأكثرَ مما فيه هاءُ التأنيثِ من الأسماءِ التي على حرفَينِ أن يجمعَ بالتاءِ ، والواوِ والنونِ ، ليسَ صوابًا بإطلاقٍ ؛ إذ الكثرةُ في ما حُذفَتْ لامُه . أمَّا ما حُذِفَتْ فاؤه ، فلم يُسمَعْ فيه إلَّا قولُهم : (لِدونَ) ، و (رِقونَ) ، و (حِشونَ) .

ويُفهَم هذا المذهبُ الـمتقدِّمُ من قولِه أيـضًا : « ولو سمَّيتَـه أيضًا بـ (شيةٍ) ، أو (ظُبةٍ) ، لـم تجاوِزْ (شيات) ، و(ظبات) ، لأن هذا اسمٌ لـم تجمعْه العربُ إلَّا

(٧) (الكتاب : ٣/ ٤٠٢) ، تح : هارون .

هكذا ؛ فلا تجاوِزنَّ ذا في الموضعِ الآخَر ، لأنَّه ثَمَّ اسمٌ ، كما أنَّه ههنا اسمٌ . فكذلكَ فقِس هذه الأشياءَ » اهـ[8]

وقوله أيضًا : « وأمَّا (عِدةٌ) ، فلا تجمعُه إلَّا (عِدات) ، لأنه ليسَ شيءٌ مثلُ (عِدة) كُسِّر للجمعِ . ولكنَّك إن شئتَ ، قلتَ : (عِدونَ) إذا صارت اسمًا ، كما قُلتَ : (لِدونَ) » اهـ[9] .

وقد أصابَ سيبويه في هذا الرأيِ ؛ لكنه أخطأَ بما ذكرَ في (عِدةَ) من وجهَينِ :

١ . الأوَّلُ : أنَّه ناقضَ بهذا كلامَه في هذه المسألةِ ؛ وهو أنَّ الكلمةَ لا يُتجاوَزُ بها بعدَ التسميةِ الجموعُ التي جمعَتْها العربُ عليها قبلَ التسميةِ ؛ قالَ : « ولو سمَّيتَه بـ (شاة) ، لم تجمعْ بالتاءِ ، ولم تقلْ إلَّا : (شياهٌ) ، لأنَّ هذا الاسمَ قد جمعتْه العرب ، فلم تجمعه بالتاء » اهـ[10]

وناقضَ أيضًا قولَه : « ولا يَجوزُ (ظبونَ) في (ظبةٍ) ، لأنه اسمٌ جُمِع ، ولم يجمعوهُ

---

(٨) (الكتاب : ٣/ ٤٠٠) .

(٩) (الكتاب : ٣/ ٤٠١) .

(١٠) (الكتاب : ٣/ ٤٠٠) .

بالواوِ والنونِ . ولو كانوا كسَّروا (رُبَة) ، و (امرأ) ، أو جمعوهُ بواوٍ ونونٍ ، فلم يجاوزوا به ذلكَ ، لم تجاوزْه » اهـ [11] . معَ أنَّهم قالوا : (ظبونَ) ، وأنشَدوا :

تَعـاور أيمـانُـهم بينَـهم كُئوسَ المنايا بحَدِّ الظبينا

٢. الثاني : أنَّه ناقضَ بهذا أصلَه الذي احتجَّ به في مواضعَ ؛ وهو « أنَّ الحمل إنَّما يكونُ على الغالبِ » ، كمـا في ادِّعائِه أنَّكَ إذا سمَّيتَ رجـلًا بـ (اضرب) قطعتَ همزتَه ، ولم تصِلْها ، لأنَّك نقلْتَها من حيِّزِ الأفعالِ إلى حيِّزِ الأسماءِ ؛ والأكثرُ في الأسماءِ القَطعُ [12] . وكما ناقضَ هذا الأصلَ هنا ، ناقضَه أيضًا في ادِّعائِه أنَّكَ إذا سمَّيتَ رجلًا بـ (مِن) ، لم تغيِّرها ، لأنّها تشبهُ الأسماءَ نحو : (يد ، ودم) [13] ، معَ أنَّ (يد ، ودم) قليلةٌ كقلَّةِ ما ابتدئَ بهمزةِ الوصلِ من الأسمـاءِ .

* الضربُ الثاني :

أن يكونَ لفظًا جامِدًا . وله حالانِ :

---

(١١) (الكتاب : ٣/ ٤٠١) .

(١٢) انظر : (الكتاب : ٣/ ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٥٦ ، ٣١٩) .

(١٣) انظر : (الكتاب : ٣/ ٢٦٦) .

١. الحالُ الأولى : أن يبلغَكَ عن العربِ فيه سَماعٌ . فحكمُه : أن تستعملَه كما استعملوهُ ، ولا تغيِّره عن حالِه لاختلافِ المسنَد إليه تذكيرًا ، وتأنيثًا ؛ بل تطلِقُ عليهما لفظًا واحدًا ، سواءٌ كانَ حقيقةً ، أو مجازًا .

- فأمَّا الحقيقةُ : فمعروفةٌ أمثلتُها ، ولا خلافَ فيها .
- وأمَّا المجاز : فنحوُ قولِهم : «هذا عضوُ مجمعِ كذا » ، و« هذه عضوُ مجمعِ كذا » ؛ إذْ كان هذا اللفظُ يدلُّ في حقيقةِ وَضعِه على (العَظمِ بلَحمِه) . ولكنَّ المحدَثينَ عدَلوا بهِ عن ذلك إلى ضربٍ من المجازِ ، حينًا من (التشبيهِ البليغِ) كالذي تقدَّمَ ، وحينًا من (الاستعارةِ) إذا حُذف المشبَّه ؛ ألا ترى أنك إذا قلتَ : « هذه عُضوُ مجمعِ كذا » ، فكأنَّما قلتَ : « هذه في المجمعِ مثلُ العضوِ في البَدنِ » ؛ فتكونُ شبَّهتَها بالعُضوِ . وذلك أنَّه يجمعُ بينَهما أنَّ كلًّا منهما يؤلِّف معَ مثلِه بناءًا تامًّا ، قائمًا بنفسِه . ثم كثُرَ هذا في كلامِهم ، حتَّى أصبحَ حقيقةً عُرفيَّةً ؛ فلذلك يمتنعُ أن تقولَ : « هذه عُضوةٌ » ، لأنَّك تكونُ شبَّهتَها بالعُضوةِ . وليسَ ذلكَ من كلامِ العربِ .

فإن قلتَ : أحملُها على معنَى المشتقِّ ، كما قالُوا : « مررتُ برجلٍ أسدٍ أبوهُ » ؛ أي : شجاع ، و « شربتُ ماءًا عسلًا طعمُه » ؛ أي : شديدَ الحلاوةِ .

قلتُ : لو سلَّمنا أنَّ هذا مقيسٌ ، لم نُسلِّمْ أنَّه يؤنَّثُ إذا أسنِدَ إلى مؤنَّثٍ ، أو كانَ وصفًا له ؛ إذ لم يردْ في كلامِهم مثلُ هذا . ذلكَ أنَّه وإن ضُمِّنَ معنى المشتقِّ ، فإنَّه باقٍ على إرادةِ التشبيهِ ؛ ألا ترَى أنَّ معنى قولِك : « هذا رجلٌ حديدٌ » هو : « هذا رجلٌ كالحديدِ في الصلابةِ » . وممَّا يُثبِتُ لكَ امتناعَه أنَّا لو أجزناه ، لكانَ لكَ أن تقولَ : « مررتُ برجلٍ بَدْرةٍ أمُّه » ، و « هذه امرأة بَدْرةٌ » ؛ أي : جميلة كالبدرِ ، كما قلتَ : « هذه امرأةٌ عضوةٌ » . وهذا بيِّنُ القُبحِ والفسادِ . وممَّا يُثبتُ لكَ ذلكَ أيضًا أنَّكَ لا تَجمعُ « عُضوًا » إذا أردتَّ بهِ العاقلَ جمعَ مذكَّرٍ سالمًا ؛ فتقولُ : (عضوون) .

٢. الحالُ الثانيةُ : أن لا يبلغَك عن العربِ فيهِ سَماعٌ . ولا أعرفُ مِن هذا إلا ما مؤنَّثُه غيرُ حقيقيٍّ . وحكمُه : أن تلتزمَ تذكيرَه ، لأنَّ التذكيرَ هو الأصلُ ؛ ولذلكَ يُخطِئ بعضُ الناسِ ؛ فيؤنِّثُ (الكمبيوترَ) .

فإن قلتَ : ألا ترَى أنَّه بمعنى (الآلةِ) ؟

قلتُ : ألا ترَى أنتَ كذلكَ أنَّه بمعنى (الجَهاز) ؟ وليسَ أحدُهما بأولَى من الآخرِ . وإذْ ثبتَ أنَّ العربَ لا تستنِدُ في تذكيرِ ما كانَ كذلكَ ، وتأنيثِه إلى علَّةٍ بيِّنةٍ ، فإنه ليسَ لنا أن نقيسَ على شيءٍ من ذلكَ ؛ ألا ترَى أنَّهم أنَّثوا (الشمسَ) ،

وذكَّروا (القمرَ) لغيرِ علَّةٍ ظاهرةٍ ؛ وإن كنتَ لو فتَّشتَ واجدًا علَّةً ؛ غيرَ أنَّها علَّةٌ غيرُ موجبةٍ ؛ يبيِّنُ لكَ ذلكَ اختِلافُ لغاتِ الأممِ في تذكيرِ ما كانَ كذلكَ وتأنيثِهِ . فلمَّا عدِمنا العلَّةَ الظاهرةَ ، امتنعَ علينا القياسُ ، لأنك لا تقيسُ على الشيءِ حتى تعرفَ علَّتَه .

فإن قلت : لا أقيسُ عليهِ قِياسَ علَّـةٍ ؛ ولكن قياسَ شبَهٍ ؛ أشبِّهُهُ بـ (الآلةِ) من جهةِ المعنَى .

قلتُ : ليسَ للمـحدَثِ أن يقيسَ قياسَ شبهٍ إلَّا في الـمواضعِ التي طردتْها العربُ ، كالفِعلِ الـمضـارعِ ؛ إذ شبَّهوه بالاسـمِ ؛ فأعربوه ؛ ألا تَـرى أنَّه ليسَ شيءٌ إلَّا هو يشبه غيرَه من وَجهٍ ، أو وُجـوهٍ ؛ فلو أخذنا بالقياسِ في ذلكَ ، لأفضَى بنا هـذا إلى اضطـرابِ الأصـولِ ، وانتقـاضِ عُـقـدِ القياسِ . ولـذلك لو شبَّـهتَ (الكمبيـوترَ) بـ (الآلـةِ) ، لأنَّه أحـدُ أفرادِها ، للزِمَك أن تشبِّـهَه بـ (الجهازِ) ، لأنَّه أحدُ أفرادِه أيضًا ؛ فتـذكِّرَه ، وتؤنِّـثَه في حالٍ . وهذا فاسِـدٌ . أمَّـا خـبرُ الأعرابيِّ الذي أنَّـثَ (الكتابَ) حـملًا على (الصحيفةِ) ، فشاذٌّ . ولو أجزنا ذلكَ ، لكانَ لكَ أن تذكِّرَ كلَّ مؤنَّثٍ ، لأنه ليسَ شيءٌ من الـموجوداتِ إلَّا هو يقبلُ أن تُـئَـوّلَه بمعـنى (شيء) . وهـذا لازمٌ لا يصِـحُّ ؛ وإذا امتنعَ ، امتنعَ

ملزومُه . فإذا امتنعَ قياسُ العلَّةِ ، وقياسُ الشبهِ ، وجبَ عليكَ الحملُ على الأصلِ في الأسـمـاءِ ؛ وهو التـذكيرُ ؛ فتُـذكِّرُ لفـظَ (الكمبيـوترِ) . ومثلُه أيضًـا لفـظُ (الإنترنت) ؛ فإنَّه مذكَّرٌ ، وتأنيثُه خطأ .

وبذلك يتبيَّن أنَّ ما سُمِعَ عن العربِ ، وجبَ التزامُه ، وامتنعتِ الصيرورةُ حينَ إذٍ إلى القياسِ . فأمَّا ما لـم يبلغنا عنِ العربِ فيه سَمـاعٌ ، فإنَّا نحمِلُهُ على أشبهِ شيءٍ بهِ . ويُخْطِئ من يظنُّ أن الأصلَ في مُفرداتِ العربيةِ وأحوالِ أبنيَتِها القياسُ ؛ بلِ الأصلُ فيها السَّمـاعُ . والقياسُ إنَّمـا هو سبيلٌ إلى إدراكِ مذاهبِ العربِ متى ما عُدِم السَّماعُ .

***

وبمـا تقدَّمَ بيانُه يَظهرُ أنَّ المجمعَ خلَّطَ بينَ المسائلِ ، وجعلَ حُكْمَها واحدًا ، معَ أنَّ حكمَ (رئيسٍ) غيرُ حكمِ (أستاذٍ) ، وحكمَ (أستاذٍ) غيرُ حكم (عُضوٍ) .

***

التشبيه المعكوس

والكلام على بعض شواهده

صالح العمري

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ البَلاغَةِ والنَّقْدِ)

التَّشبيهُ المعكوسُ

والكَلامُ على بَعضِ شَواهدِه

هذا تقسيمٌ ظهرَ لي بالتأمُّلِ في ما جاءَ في الأشعارِ مِن التشبيهِ المعكوسِ ، أذكرُه باختصارٍ :

اعلمْ أنَّ التشبيهَ المعكوسَ يَجيءُ على ضَربَين :

*** الضَّربُ الأوَّلُ :**

أن يكونَ الشاعرُ يصفُ شيئًا فيريدُ أن يُشبِّهَه بشيءٍ يفوقُه ، فيَعكِسُ التشبيهَ مبالَغةً ويشبِّه الأعلى بالأدنى . فمِن ذلكَ :

١ . قولُ رؤبةَ – وهي غيرُ الرِّوايةِ المشهورَةِ – :

وَمَهْمَـهٍ مُغْـبَرَّةٍ أَرْجـاؤُهُ كَأَنَّ لَونَ أَرْضِهِ سَمـاؤُهُ

فهذا يَصفُ مَهْمَهًا قد اغبرَّتْ أرجاؤُه ، وانتشرَ الغبارُ في سمـائِه حتَّى صارَ لونُها يشبِهُ

لونَ الأرضِ مِن كثرةِ ما في الجوِّ مِن الغبارِ ، فأنتَ ترى أنَّه يصفُ غَبرةَ الأرجاءِ والسماءِ ، فهي المقصودةُ بالتشبيهِ ، فكانَ الوجهُ أن يقولَ : كأنَّ لونَ سمائِه لونُ أرضِه ، أي : مِن كثرةِ الغبارِ في السماءِ . ثمَّ عَكسَ التشبيهَ مبالَغةً ، كأنَّ الغبارَ في السماءِ صارَ أكثرَ منه في الأرضِ ، فقالَ : كأنَّ لونَ أرضِه لونُ سمائِه ، ثمَّ حَذفَ المضافَ ، فقالَ : كأنَّ لونَ أرضِه سماؤُه .

وإنَّما قُلنا : عَكسَ التشبيهَ ، لأنَّه في الأصلِ لم يُرِدْ أن يشبِّهَ لونَ الأرضِ بشيءٍ ، وليسَ كلامُه في وَصفِ الأرضِ ، إنَّما كلامُه في وَصفِ السماءِ إذ كانَ يصفُ أرجاءَ الجوِّ وما فيها مِن الغبارِ ، فكانَ أصلُ الكلامِ : ومَهْمهٍ مُغبرَّةٍ أرجاؤُه ، كأنَّ لونَ سمائِه ممَّا استَطارَ فيها مِن الغبارِ لونُ أرضِه ، ثمَّ عكسَ وحَذفَ .

٢. ومِثلُه قولُ أبي النجمِ العجليِّ :

كَأَنَّ رِيحَ المِسْكِ وَالقَرَنْفُلِ نَباتُهُ بَينَ التِّلاعِ السُّيَّلِ

فالرجلُ إنَّما يصفُ الأرضَ وما فيها مِن النبْتِ ، فكانَ أصلُ الكلامِ : كأنَّ ريحَ نباتِه ريحُ المسكِ والقَرنفُلِ ، فعكسَ التشبيهَ مبالَغةً ، كأنَّ ريحَ النبتِ فاقَ ريحَ المسكِ في الطِّيبِ ، فقالَ : كأنَّ ريحَ المسكِ والقَرنفُلِ ريحُ نباتِه ، ثمَّ حذفَ المضافَ ، فقالَ : كأنَّ

ريحَ المسكِ والقَرنفُلِ نباتُه . فهذا مِثْلُ بيتِ رُؤبةَ في العكسِ ، وفي حَذفِ المضافِ .

٣. ومِن هذا الضربِ : تَشبيهُ الشمسِ بوَجهِ المرأةِ ، فهذا مَعكوسٌ للمبالَغةِ ، لأنَّ الشمسَ تفُوقُ وجهَ المرأةِ في النُّورِ والصفاءِ ، فشبَّهوا الأعلى بالأدنى مبالَغةً .

* * *

*** أمَّا الضربُ الثاني :**

فليسَ فيه تشبيهُ عالٍ بأدنى مِنه ولا عكسُ ذلكَ ، إنَّما هما شَيئان متشابِهان متساوِيان ، فليسَ العكسُ فيه لِلمبالَغةِ ، وإنَّما العكسُ فيه عكسٌ للتَّشبيهِ المشهورِ ، وليسَ عكسًا أريدَ به المبالَغةُ ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُساوي الآخَرَ ، وليسَ أحدُهما فائِقًا الآخرَ في الوَجهِ الذي مَدارُ التشبيهِ عليهِ . وذلكَ مِثْلُ :

١ . قولِ ذي الرُّمَّةِ يصفُ فراخَ النعامةِ :

كَأنَّما فُلِّقَتْ عَنها بِبَلْقَعةٍ جَماجِمٌ يُبَّسٌ أو حَنْظَلٌ خَرِبُ

فشبَّه القيضَ لمَّا تكسَّرَ - وهو قِشرُ البَيضِ الأعلى - بجَماجِمَ فُلِّقتْ ، والمشهورُ عكسُ ذلكَ ، يُشبِّهون فِلَقَ الجماجِمِ بفِلَقِ البَيضِ ، كما قالَ رُؤبةُ :

* وَالهامُ كَالقَيضِ يَطيرُ فِلَقَا *

٢. ومِن غريبِ ما جاءَ مِن هذا الضربِ : قولُ طهمـانَ بنِ عَمرٍو الكلابيِّ – وهو شاعرٌ أُمويٌّ – :

وَسُرادِق رَفَّعْـتُـهُ لِصَحـابَـةٍ لِيُـظِلَّـهُمْ باتُوا بِلَيـلٍ سـاهِرِ
ضـاحٍ كَأَنَّ رِواقَــهُ وكِفـاءَهُ سِقْطانِ مِن كَنَفَي ظَليمٍ نافِرِ

فشبَّه السُّرادِقَ بجناحَي الظَّليمِ ، والمشهورُ عكسُ هذا التشبيهِ ، كما قالَ ذو الرُّمَّةِ :

شَخْـتُ الجُزارَةِ مِثْلُ البَيتِ سائِرُهُ مِن المُسوحِ خِدَبٌّ شَوقَبٌ خَشِبُ

وكما قالَ عَلقمةُ بنُ عبدةَ :

صَعْلٌ كَأَنَّ جَناحَيهِ وجُؤْجُـؤَهُ بَيْتٌ أَطافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومُ

فالضربُ الأوَّلُ سُمِّيَ معكوسًا ، لأنَّه شبَّه الأعلى بالأدنى ، وهذا في الحقيقةِ عكسٌ لِلتشبيهِ المشهورِ ، لأنَّ المشهورَ أنْ يُشبَّه الأدنى بالأعلى ، فهو يُشبِهُ الضربَ الثاني مِن هذا الوَجهِ ، لكنَّ الثاني يُفارِقُه في استِواءِ الشيئَين ، وأنَّه ليسَ فيهما عالٍ ودُونٌ ، وإنَّما سُمِّيَ معكوسًا ، لأنَّه جاءَ به على عكسِ التشبيهِ المشهورِ .

ولكلِّ واحـدٍ من الضربَـين شواهِـدُ كثيرةٌ جدًّا في أشعارِ القُدماءِ والـمُحْدَثِين ،

وتحتَها فوائدُ كثيرةٌ وفُروقٌ لطيفةٌ . واللهُ أعلمُ .

***

ولا تَظنُّنَّ السُّرادِقَ الذي رفعَه طهمانُ لصحابَتِه كسُرادِقاتِ الملوكِ ، فتَستنكِرَ تَشبيهَه بجَناحَي الظليمِ ، وإنَّما هي أَردِيَةٌ تُرفعُ على القِسيِّ ، أو على السُّيوفِ ، أو عليهِما معًا ، إذا نزلَ الركبُ مِن العربِ بقَفرةٍ لا ظلَّ فيها ، رفعوا أَردِيتَهم عليها يَستظلُّون بها ، قال عبدةُ بنُ الطبيبِ يصفُ وُرودَهم الماءَ :

لَمَّا وَرَدْنا رَفَعْنا ظِلَّ أَرْدِيَةٍ وَفارَ بِاللَّحْمِ لِلْقَومِ المَراجِيلُ

ولم يُبيِّنْ في هذا البيتِ على أيِّ شيءٍ رفعوا أَردِيتَهم .

وقال المَرَّارُ الفَقْعَسيُّ يصفُ رداءً رفعوهُ على قَوسَينِ :

لَجَأْتُ بِصَحْبِي إِلَى خافِقٍ عَلى نَبْعَتَينِ[1] بِأَرْضٍ فَضاءِ
تُنازِعُنا الرِّيحُ أَرْواقَهُ وَكِسْرَيْهِ يَرمَحْنَ رَمْحَ الفِلاءِ

(١) وقد وقعَ في هذا البيتِ في (الوحشيَّاتِ – ص : ٥٥) بتحقيقِ الميمَنيِّ ، وزياداتِ أبي فِهرٍ : «على نَبْقَتَينِ » ، وهو خَطأٌ ظاهرٌ ، وصوابُه : « على نَبْعَتَينِ » ، أي : على قَوسَينِ مِن نَبْعٍ ، وقد رَجَعْتُ إلى مَخطوطةٍ أُخرى (لِلوحشيَّاتِ) فوجدتُ الصوابَ كما قدَّرتُه .

والنَّبعُ : ضربٌ معروفٌ مِن الشجرِ ، والعربُ تُسمِّي القَوسَ نَبعةً ، قالَ :

وَقَدْ جَعَلَ الوَسْمِيُّ يُنْبِتُ بَينَنـا وَبَينَ بَنِي دُودانَ نَبْعًـا وَشَوحَطَا

يريدُ أنَّ الخصبَ يَهيجُ بينَهم الغاراتِ والحربَ ، فإذا أجدَبوا كفَّ بعضُهم عن بعضٍ . ودُودانُ حيٌّ مِن بَني أسدٍ .

والخافقُ الذي لجأَ إليه المَرَّارُ وأصحابُه هو الرِّداءُ المرفوعُ ، وخَفَقانُه مِن هبوبِ الرِّيحِ عليهِ ، وإنَّما لجأوا إليهِ ليُظلَّهم مِن الشمسِ ، والفِلاءُ : جَمعُ فَلُوٍّ ، وهو : الصغيرُ مِن الخيلِ ، سُمِّيَ فَلُوًّا لأنَّه افتُلِيَ عن أمِّهِ ، أي : فُطِمَ عن لبنِها ، فشبَّه حركةَ أطرافِ الرِّداءِ مع هبوبِ الرِّيحِ بفِلاءٍ ترمَحُ بقوائمِها ، وهو تشبيهٌ بديعٌ .

وقال النَّمريُّ يصفُ أرديَةً رفعوها على السيوفِ دُونَ القِسيِّ :

وَبَيْتٍ كَمِثْـلِ جَناحِ العُقابِ جَعَلْناهُ لِلشَّمْسِ عَنَّا سِدادَا
جَعَلْنا السُّـيوفَ بِأَغْمـادِها عِمـادًا لَهُ إِذْ عَدِمْنا العِمـادَا

وترى هنا أنَّ النَّمريَّ شبَّه هذا البيتَ بجَناحِ العُقابِ كما شبَّه طهمانُ سُرادِقَه بجناحَي الظليمِ ، وتسميةُ هذا بالبيتِ وذاكَ بالسُّرادِقِ تمدُّحٌ وتحمُّدٌ في الكلامِ ، وإنَّمـا هو رِداءٌ مَرفوعٌ ليسَ غيرُ .

وقال الحماسيُّ يصفُ رِداءً رفعوهُ على الأسيافِ والقِسِيِّ معًا :

وَفِتْيانٍ بَنَيتُ لَـهُمْ رِدائِي عَلَى أَسْيافِنا وَعَلَى القِـسِيِّ

فإذا عرفتَ ذلكَ ، لـم تَستنكِرْ تشبيهَ هذهِ الأرديَةِ الأسْمالِ بجناحَي الظليمِ في قولِ طهمانَ الكلابيِّ ، وبجناحِ العُقابِ في قولِ النَّمريِّ .

***

وإنَّمـا كانَ تشبيهُ المرَّارِ على ما ذكرْنا مِن الحُسنِ لـمعنًى لطيفٍ دقيقٍ قد يَخفى على كثيرٍ من الناسِ ، وذلكَ أنَّ وجهَ الشبَهِ قد يكونُ في الحركةِ وَحدَها ، وقد يكونُ في بَعضِ أوصافِ الـجسمِ كالشكلِ واللونِ ، وقد يُجمَعُ هذا وهذا فيكونُ وجهُ الشبَهِ واقعًا في الـحركةِ وفي بَعضِ أوصافِ الـجِسمِ ، وذكرَ أهلُ البَلاغةِ مِن أمثلتِه قولَ القائلِ :

* وَالشَّمْسُ كَالمِرْآةِ في كَفِّ الأَشَلْ *

فإنَّ هذا تشبيهٌ لِلشمسِ بالمِرآةِ في شكلِها لِاستِدارتِها وإشراقِها ، وتشبيهٌ في الحركةِ السريعةِ المتَّصلةِ ، فإنَّ الناظرَ إلى الشمسِ يَرى شُعاعَها كأنَّه يهمُّ بأنْ ينبسِطَ حتَّى يَفيضَ مِن جوانبِ الدائرةِ ، ثمَّ تراهُ كأنَّه يرجِعُ مِن الِانبساطِ إلى الِانقباضِ فيعودُ مِن

الجوانبِ إلى الوَسطِ ، فالشاعرُ نظرَ إلى هذا المعنَى جَزْمًا ، ولو لـم يكنْ نظرَ إليهِ لـم يكنْ لذِكرِ الأشلِّ فائدةٌ ، ولا لتَخصيصِه معنًى ، لأنَّ شبهَ الشمسِ بالمِرآةِ في استِدارتِها وإشراقِها يتحقَّقُ إذا كانت المِرآةُ في كفِّ رجلٍ صحيحٍ ، ويتحقَّقُ إذا كانت موضوعةً على جسمٍ ساكنٍ ، فلا يكونُ لذكرِ الأشلِّ فائدةٌ ، لكنَّه لـمَّا نظرَ إلى حركةِ الشُّعاعِ التي ذكرناها جعلَ المِرآةَ في كفِّ رجلٍ أشلَّ ، لأنَّ كفَّه تَضطرِبُ وتهتزُّ اهتِزازًا مُتَّصلًا .

وإذا تَبيَّنْتَ ذلكَ فَارجِعْ إلى بيتِ المرَّارِ ، فالظاهرُ الذي يَتبادَرُ إلى ذِهنِ القارئِ أنَّه شبَّهَ حركةَ أطرافِ الرِّداءِ إذا لفحَتْهُ الرِّيحُ وخَفقَتْ بِه خَفقةً قويَّـةً بحركةِ قوائمِ الفلُوِّ إذا رَمحَ برِجلَيهِ ، وأنَّه ليسَ وَراءَه تشبيهٌ آخَرُ .

وليسَ الأمرُ كذلكَ ، فإنَّ في البيتِ تشبيهَ حركةٍ بحركةٍ كمـا ذكرْنا ، وتشبيهًا في الشكلِ خفِـيًّا غامضًا يحتاجُ إلى تأمُّلٍ ، وذلكَ : أنَّ الرِّداءَ الـمذكورَ مرفوعٌ على قَوسَين ، وكلُّ قوسٍ منهمـا في جِهةٍ ولا بُدَّ ، فإذا كانت الشمسُ فوقَهم في كَبدِ السمـاءِ كانَ الظِّلُّ تحتَ الرِّداءِ على شكلِ الرِّداءِ ولا يَظهرُ ظِلُّ القِسيِّ ، فإذا انحرفَت الشمسُ مـالَ الظِّلُّ مِن تحتِ الرِّداءِ وظهرَ ظِلُّ القِـسيِّ ، فإذا نَظرتَ في ذلكَ الظِّلِّ في الأرضِ رأيتَ ظِلَّ الرِّداءِ مُعترِضًا وتحتَه ظِلُّ القَوسَين القائمتَين ، فتراهُ في الأرضِ يشبِهُ ظِلَّ الفلُوِّ ، لأنَّ ظِلَّ القِسيِّ يُقابِـلُ ظِلَّ قوائـمِه ، وظِلُّ الرِّداءِ يقابِلُ ظل سائرِه ،

وإذا كانَ الرِّداءُ مرفوعًا على أربعةِ أسيافٍ كانَ الشبَهُ أتمَّ ، لأنَّ عددَ الدعائمِ يصيرُ كعددِ القوائمِ ، فترى ظِلالَ أربعةِ السيوفِ تشبِهُ ظِلالَ أَربعِ القوائمِ وفوقَه ظِلُّ الرِّداءِ يقابلُ ظِلَّ سائرِ جسمِه ، فهذا تشبيهٌ خفيٌّ لطيفٌ في الشكلِ مع تشبيهِ الحركةِ الذي ذكرْناه .

وإنَّمـا خصَّ الفِلاءَ لأَمرَين :

- الأوَّلُ : أنَّ ظِلَّها أصغرُ ، وهو أدنى إلى ظِلِّ الرِّداءِ المرفوعِ على القِسيِّ ، وإذا كانَ حِصانًا بالِغًا كانَ ظِلُّه أعظمَ مِن ذلكَ .
- والثاني : أنَّ الفِلاءَ كثيرةُ الرَّمحِ بقوائمِها مِن الـمَيعةِ والمِراحِ ، وأمَّا البالغةُ مِن الخيلِ فلا يكادُ يقعُ مِنها ذلكَ إلَّا إذا أُوذِيَتْ .

***

ومـمَّا يُقارِبُ تشبيهَ الـمَرَّارِ تشبيهٌ لعَمرِو بنِ أحمرَ الباهليِّ سنُبيِّنه ، وذلكَ أنَّ المَرَّارَ شبَّه ظِلَّ الرِّداءِ مع دعائمِه بظِلِّ الفلُوِّ فيكونُ ظِلُّ الدعائمِ مُقابِلًا لظِلِّ القوائمِ وظِلُّ الرِّداءِ مُقابِلًا لظِلِّ سائرِه ، وعَمرُو بنُ أحمرَ الباهليُّ شبَّه القُدورَ على أثافيها بالخيلِ ، فتكونُ الأثافيُّ بمَنزلةِ القوائمِ والقُدورُ بمَنزلةِ سائرِ أبدانِها .

قالَ عَمرُو بنُ أحمرَ يصفُ قُدورَهم :

إِذا رَكَدَتْ حَولَ البُيوتِ كَأَنَّمـا تَرَى الآلَ يَجري عَنْ قَنابِلَ صُيَّمِ

والقَنابلُ : جَمعُ قَنبَلةٍ ، وهي الجماعةُ مِن الخيلِ ، والصُّيَّم : جَمعُ صائمٍ ، وهو القائمُ الذي لا يَعملُ شيئًا ، قالَ بِشرُ بنُ أبي خازمٍ :

وَما تَسْعى رِجالُـهُمُ وَلَكِنْ فُضُولُ الخَيلِ مُلجَمةٌ صِيامُ

والبيتُ فيهِ تَشبيهُ شيئَين بشيئَين :

- فالأوَّلُ : تَشبيهُ القُدورِ بالخيلِ على ما بيَّـنَّا .
- والثاني : تَشبيهُ بُخارِ الماءِ الذي يمورُ فوقَ القُدورِ - مِن غَليانِ الماءِ فيها - بالآلِ وهو السرابُ .

وقد أخطأَ بعضُ شرَّاحِ (الحماسةِ) فظنَّ المشبَّه بالآلِ هو ما في القُدورِ مِن لمعانِ الدَّسمِ والودكِ ، وهذا لا يُشبهُ الآلَ ، ولـم أَرَ أحدًا مِنهم أصابَ المعنى المرادَ ، وإنَّما الذي يُشبِهُه تمامَ المشابَهةِ هو بُخارُ الماءِ الذي يمورُ فوقَ القُدورِ إذا جاشَ الماءُ فيها . فشبَّه القُدورَ على أثافِيها وبُخارُ الماءِ يَجري فوقَها بخَيلٍ صيامٍ يَجري الآلُ فوقَ مُتونِها .

وفي البيتِ غيرَ ما ذكرْنا مِن التشبيهِ إشارةٌ إلى ثلاثةِ أشياءَ :

١. عِظَمِ القُدورِ وضِخَمِها ، فإنَّ القِدرَ لا يبلُغُ ارتفاعُها شيئًا مُقارِبًا لِارتفاعِ ظُهورِ الخيلِ إلَّا إذا كانت عظيمةً ، وكذلكَ عِظمُ أثافِيها ليكونَ ارتِفاعُها شيئًا مُقارِبًا لارتِفاعِ قوائمِ الخيلِ ، وإنَّما تَعظُمُ الأثافيُّ إذا عَظُمَت القُدورُ ، وعِظَمُ القِدرِ أَمارةٌ على كثرةِ ما يُطبَخُ فيها مِن الزادِ للضِّيفانِ والمعتَفِين .

٢. ثبات القُدورِ ، وأنَّها لا تُنزَل ، ولا تُحوَّلُ ، لأنَّه لا ينقطعُ عنها الطبخُ ولا تُلفى فارغةً ، ولِثِقلِها ومشقَّةِ تحريكِها ، وإنَّما يُغترفُ ما فيها وهي في مواضعِها ، وهذا مُستفادٌ مِن تشبيهِها بخيلٍ صيامٍ ، فإنَّ الصيامَ هي القائمةُ التي لا تَرودُ ، وهذا فيه مديحٌ لقومِه ، بأنَّ قُدورَهم لا تُنزَلُ عن مَواقِدِها ، لكثرةِ ما يُطبخُ فيها للضِّيفانِ والعُفاةِ ، ولو أُريدَ إنزالُها ونَقلُها شقَّ ذلكَ على مَن يتولَّاهُ .

٣. كثرة هذه القُدورِ ، فإنَّه شبَّهها بقنابِلَ مِن الخيلِ ، والقنابلُ : جمعُ قَنبَـلةٍ ، والقَنبَلةُ الواحدةُ : جماعةٌ مِن الخيلِ ، فهذا دليلٌ على كثرتِها مع ما وَصَفَ مِن ضخامَتِها .

فهذا الذي وَصفَه غايةٌ في كثرةِ ما يُبذَلُ للضِّيفانِ والطُّرَّاقِ والأراملِ والأيتامِ ، فإنَّ القِدرَ الضخمةَ أو القِدرَين قد تكفي هؤلاءِ كلَّهم ، فكيفَ بهذهِ القُدورِ كلِّها ؟ فكيـفَ إذا كانت هذه القُدورُ الضخمةُ الكثيرةُ لا تُنزَلُ عن مَواقـدِها ، ولا ينفكُّ فيها

طَبيخٌ مُدَّةَ الأَيَّامِ ؟

وبِالله التوفيقُ .

***

ومـمَّا يُشبِهُ أبياتَ المرَّارِ قولُ مُضَرِّسٍ الأَسَديِّ :

وَفِتْيـانٍ بَنَيـتُ لَـهُـمْ خِبـاءً عَلى قَوسَـينِ خَفَّـاقًـا مَـرُوحَـا
كَأَنَّـا رابِـطُـونَ بِـهِ فَلُـوًّا شَدِيـدَ النَّـزْوِ قَمَّـاصًا رَمُوحَـا
نُقَـوِّمُـهُ وَتَـهتِـكُـهُ عَلَـيْـنا سَمُومٌ تَسْفَعُ الوَجْهَ الوَضُوحَا

فأخبرَ أنَّه بناهُ لهم على قوسَين فَقطْ ، وهذا كمـا قال المرَّارُ :

* عَلَى نَبْعَتَينِ بِأَرْضٍ فَضاءِ *

أي : على قوسَين . (٢)

وتراه أيضًا شَبَّه هذا الخِبـاءَ المرفوعَ على قوسَين بفَلوٍّ قَمَّـاصٍ رَموحٍ ، وهو كمـا

(٢) وهذا يُبيِّن لكَ أيضًا أنَّ « نَبْقَتَينِ » الَّتي وَقعتْ في مَطبوعةِ (الوحشيَّاتِ) محرَّفةٌ ، وصوابُها كما ذكرْنا مِن قبلُ : « نَبْعَتَين » ، أي : قوسَين ، كما صرَّحَ به مُضَرِّسٌ .

قال الـمرَّارُ :

* ... يَرمَحْنَ رَمْحَ الفِلاءِ *

وإنَّما شبَّهه بالفَلوِّ دُونَ البالِغةِ مِن الخيلِ ، لِـما ذَكرْنا قَبلُ مِن أنَّ الرِّداءَ المرفوعَ على القِسيِّ لا يَبلُغُ ارتِفاعُه ارتِفاعَ ظُهورِ الخيلِ البالِغةِ ، فحسُنَ تشبيهُه بالفِلاء دُونَها .

ومما يوضحُ لكَ ذلك جِدًّا قولُ أبي الهنديِّ :

وَفِتْيانِ صِدْقٍ مِن تَميمٍ وُجُوهُهُمْ وَإِنْ سَفَعَتْهُـنَّ الـهَواجِرُ وُضَّـحُ
رَفَعْتُ لَـهُمْ يَوْمًا خِبـاءً مُـمَدَّدًا بِسِتَّـةِ أَرْمـاحٍ تُسَـفُّ وتُطمَـحُ
تُـخَـفِّضُـهُ أَيدِيـهِـمُ فَـكَأَنَّـهُ ظَليـمٌ على هامـاتِهِـمْ يَتَـطَـوَّحُ
كَأَنَّا رَبَطْـنَـا بِالـخِبـاءِ مُشَـهَّـرًا مِنَ الخيلِ مِلْـواحًا يَسيرُ ويَرمَحُ

فهؤلاءِ لـمَّـا كانوا قد رَفعوا خِباءَهم على أرماحٍ - والرِّماحُ أطولُ مِن القِسيِّ والسيوفِ - شبَّه خِباءَهم بالظليمِ - وهو الذَّكَرُ مِن النعامِ - ، ولا شكَّ أنَّ الظليمَ أعظمُ ارتِفاعًا مِن الفَلُوِّ ، ثمَّ شبَّهه أيضًا بفَرسٍ مُشَهَّر مِن الخيلِ ، ولا يكونُ مُشَهَّرًا وهو فَلوٌّ صغيرٌ ، وإنَّما أرادَ حِصانًا كبيرًا بالِغًا ، فشبَّهه به ، لـمَّا كانَ هذا الخِباءُ مرفوعًا على أرماحٍ وكانَ سامِقًا مُرتفعًا ، ولـم يشبِّهه بالفَلُوِّ كمـا صنعَ الـمَرَّارُ ومُضَرِّسٌ ، إذْ

كانَ خِباءَاهُما قد رُفِعا على القِسِيِّ دُونَ الرِّماحِ ، والقِسيُّ أقصرُ من الرِّماحِ ، فحسُنَ تَشبيهُ الخِباءِ في أبياتِ المرَّارِ ومُضَرِّسٍ بالفَلُوِّ ، وكانَ تشبيهُهُ بالظليمِ والفَرَسِ البالغِ في أبياتِ أبي الهنديِّ أحسنَ مِن تشبيهِه بالفَلُوِّ .

واللهُ تعالى أعلمُ .

❊ ❊ ❊

فتاوى عروضية

محمود مرسي

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ الْعَرُوضِ والإِمْلاءِ)

فَتاوَى عَروضيَّـة

الحَمدُ لله ربِّ العالَمِينَ ، والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ الأَنبياءِ والـمُرْسَلِينَ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ، وَعلى آلِه وصَحْبِهِ أَجمَعِينَ ، أمَّا بعدُ :

فهذِهِ فَتاوَى عَرُوضِيَّةٌ نُقَدِّمُها لِطُلَّابِ العَربِيَّةِ ، راجِين أن يَنْتَفِعُوا بِما فِيها مِن عِلمٍ . وهِي مُغْتَرَفَةٌ مِن بحرِ الأُسْتاذِ العَروضِيِّ الـمُتَفنِّنِ مَحمُود مُحَمَّد مَحمُود مُرْسِي حَفِظهُ اللهُ تعالى ، مَدَّ فيها طَويلَ عِلمِه ، وبَسطَ وافرَ فهمِه ، وضَمَّنَها رَجَزًا مِن نظمِه ، فجاءَتْ كامِلةً في حُسنِها ، خَفِيفةً في حَملِهَا ، قَريبةً إلى الأَذْهانِ ، سَرِيعةً في الإِفْهامِ .

* * *

*** ما الفرقُ بين (مُسْتَفْعِلُنْ) ، و(مُسْتَفْعِ لُنْ) ؟**

*** الجوابُ :**

لَو تأَمَّلتَ التَّفعِيلَـتَينِ : (مُسْتَفْعِلُنْ) و(مُسْتَفْعِ لُنْ) لَوَجدتَ بَينَهُما فرقًا ؛ حيثُ إِنَّ لِكُلِّ تفعيـلةٍ منهما حُكمًا يَخصُّها فِي مَوضعِها ، رغمَ اشْتِراكِهما في الصِّيغةِ والحرَكاتِ

وَالسكَناتِ .

وَلْنَأْخُذْ : (مُسْتَفْعِلُنْ) ذاتَ الوَتَدِ الـمجموعِ فِي الرجَزِ ، وَ(مُسْتَفْعِ لُنْ) ذَاتَ الوَتَدِ الـمَفروقِ فِي الخفيفِ مثلًا يَتَّضحُ بهِ الأَمرُ ؛ فَإِنَّهُم يقولونَ : بِالـمِثالِ يَتَّضحُ الـمَقالُ ، فأقولُ :

إِنَّ (مُسْتَفْعِلُنْ) فِي الرجَزِ تَتكَوَّنُ مِن سَببَينِ خَفيفَينِ فَوَتَدٍ مَجموعٍ ، وَعليهِ إِنْ وَقَعتْ حشوًا جازَ فيها :

١. (الـخَبْنُ) بِحَذفِ الثانِي الساكنِ .

٢. (الطَّيُّ) بِحَذفِ الرابعِ الساكنِ .

٣. وَيَجوزُ أَنْ يَجتمعَ (الخَبْنُ) وَ(الطَّيُّ) ، وَهوَ الـمَعروفُ بِـ (الْخَبْلِ) .

وَلا يَجوزُ فيها (الكَفُّ) بِحَذفِ السابعِ الساكِنِ ؛ لِأَنَّ السابعَ الساكنَ هنا إِنَّما هوَ آخِرُ وَتَدٍ لا ثاني سَببٍ ، وَالزِّحافُ لا يَدخلُ الأَوتادَ ، وَإِنَّما يَجوزُ حَذفُ السابعِ وَتَسكينُ ما قَبلَهُ ، وَهوَ الـمُسَمَّى بِـ (القَطعِ) ، لَكِنْ هَذا إِنَّما يَكونُ في الضربِ لا الحَشوِ ؛ لِأَنَّ القَطعَ عِلَّةٌ لا تَحِلُّ الحَشوَ .

هَذا عَمَّا يَجوزُ وَيَمتنِعُ بِـ (مُسْتَفْعِلُنْ) ذَاتِ الوَتَدِ الـمَجموعِ فِي حَشوِ الرَّجزِ ،

وَالأَمثِلةُ وافرَةٌ لا دَاعِيَ لِذِكرِها اخْتِصارًا .

أَمَّا (مُسْتَفْعِ لُنْ) ذَاتُ الوَتَدِ الـمَفروقِ ، وَالَّتي تَتكوَّنُ مِن سَببٍ خَفيفٍ فَوَتَدٍ مَفروقٍ فَسَببٍ خَفيفٍ ، فَما الَّذي يَجوزُ فيها إِذا وَقعَتْ فِي حَشوِ الخَفيفِ مَثلًا ؟ وَما الَّذي يَمتنِعُ ؟

أَقولُ : يَجوزُ فيها :

١ . (الـخَبْنُ) بِحَذفِ الثانِي الساكِنِ ، غَيرَ أَنَّ ذلِكَ مَشروطٌ بِأَلَّا يُكَفَّ ما قبلَهَا ؛ لِثُبوتِ الْـمُعاقَبَةِ فِي الخَفيفِ ، وَبَيتُهُ :

وَفُؤَادِي كَعَهْدِهِ لِسُلَيْمَى بِهَوًى لَـمْ يَحُلْ وَلَمْ يَتَغَـيَّرْ

وَلا يَجوزُ حَذفُ الرابعِ الساكِنِ بِالطَّيِّ ؛ لِأَنَّهُ ثاني الوَتَدِ الـمَفروقِ ، وَلَيسَ ثانيَ سَبَبٍ ، وَالزِّحافُ لا يَدخلُ الأَوتادَ .

٢ . (الكَفُّ) بحَذفِ السابعِ الساكِنِ ، لَكِنَّ ذلِكَ مَشروطٌ بِأَلَّا يُخْبَنَ ما بَعدَهُ ؛ لِثُبوتِ الـمُعاقَبَةِ فِيهِ كَما قُلنا ، وَبَيتُهُ :

يَا عُمَيْرُ مَا تُظْهِرُ مِنْ هَوَاكَ أَوْ تُجِنُّ يُسْتَـكْثَرُ حِينَ يَبْدُو

٣ . (الشَّكلُ) بِحَـذفِ الثـانِي وَالسابعِ الساكنَـينِ ، بَيـدَ أَنَّ ذلكَ مَشروطٌ بِأَلَّا تُـكفَّ

التفعيلَةُ الأُولَى ، وَأَلَّا تُخْبَنَ الثالِثةُ ؛ لِثُبوتِ الـمُعَاقَبةِ ، كَما قُلتُ :

هَذا وَقَدْ وَفَتْ بِهِ الـمُعاقَبَهْ فَلْيَسْلَما أَوْ فَلْتَكُنْ مُناوَبَهْ

فَفِي الـخَفِيفِ كَفُّهُ وَخَبْنُ مَا قَدْ جَاءَ بَعْدَ الكَفِّ لَنْ يَنْتَظِمَا

وَبَيتُ الشَّكْلِ :

صَرَمَتْكَ أَسْمَاءُ بَعْدَ وِصَالِـ ـهَا فَأَصْبَحْتَ مُكْتَئِبًا حَزِينَا

ثُمَّ إِنَّ الشَّكلَ هَذَا قَبيحٌ - وَإِنْ رُوِيَ - .

قُلتُ فيهِ :

وَالكَفُّ صَالِحٌ بِذَاكَ الـحَشْوِ وَقَبَّحُوا الشَّكلَ وَكُلٌّ مَرْوِي

وَهَكَذا يَتَّضِحُ أَنَّ لِكُلِّ جُزءٍ حُكمًا يَخُصُّهُ - وَإِنِ اتَّفقَتِ الصِّيغةُ - .

وَعليهِ نَقولُ : إِنَّ ثَمَّةَ فَرقًا بَينَ التَّفْعِيلَةِ ذاتِ الوَتَدِ الـمَجموعِ ، وَالتَّفْعِيلَةِ ذاتِ الوَتَدِ الـمَفروقِ الـمُشتَرِكَتَينِ فِي الصِّيغةِ .

ومِن هنا كَتَبوا (مُسْتفعِ لُن) ذَاتَ الوَتَدِ المفروقِ بِالفَصلِ ؛ لِلتَّمييزِ ولِلتَّفرِقةِ بَينَ التَّفْعِيلَتَينِ ، وَاللهُ أَعلَمُ .

*** هَل يَجوزُ أَن تَأتِيَ تَفْعِيلَةُ ما قَبلَ الضَّربِ الـمَحذوفِ مِنَ الطَّويلِ عَلى (فَعولُنْ) ؟**

*** الجوابُ :**

اعلَمْ أَنَّ الـمُختـارَ أَنْ يُقْبَـضَ ما قَبلَ الضَّربِ الـمَحـذوفِ في الطَّـويلِ ، كَمـا قِيلَ :

وَاقْبِضْ لَهَا كَمَا رَوَوا ضَرْبًا وَصَحْ ثـانٍ وَثـالِـثٌ بِحَــذْفٍ اتَّضَــحْ
واخْتـيرَ عِنْدَ الـحَذْفِ فِيمـا قَبْلَهُ قَبْضٌ وَيَحْـكُـمـونَ بِالـرِّدْفِ لَـهُ

ذلِكَ لأنَّ بِناءَ الطَّويلِ - كَما قالوا - عَلى اخْتِلافِ الأَجْزاءِ ؛ لِتَرَكُّبِهِ مِن خُماسِيٍّ وَسُباعِيٍّ ، فَلَمَّـا حُذِفَ ضَرْبُه قَبَضوا اخْتِيارًا ما قَبلَهُ ؛ لِتَخْتَلِفَ التَّفْعِيلَتانِ . هَذا هوَ الـمُختارُ ، وَمعَ ذلِكَ جاءَتْ هَذِهِ التَّفعِيلةُ عَلى : (فَعولُنْ) كما فِي قَولِ الشَّاعرِ :

أَقيموا بَني النُّعمانِ عَنَّا صُدورَكُمْ وَإِلَّا تُقيـموا صاغِرينَ الرُّءوسَـا

هَذا ، واللهُ أَعلَمُ .

* * *

*** ما الفَرْقُ بَينَ البَيتِ التَّامِّ ، والبَيتِ الوافي ؟**

*** الجوابُ :**

اشْتَرَطَ العَروضِيُّون لِلتَّامِّ شَرطَين :

١. أَنْ يَسْتَـوفِيَ البَيتُ جَميعَ أَجـزاءِ دائِرَتِـهِ ، أَي : لا يَكون مَجـزوءًا ، وَلا مَشْطورًا ، وَلا مَنْهوكًا .

٢. أَنْ تَسلَمَ عَرُوضُهُ وَضَربُهُ مِنَ النَّقصِ اللَّازِمِ ، كَعِلَلِ النَّقصِ وَما جَرى مجْراها مِنَ الزِّحافاتِ اللَّازِمَةِ .

وَقِيلَ : بَلِ التَّامُّ ما اسْتَوفَى أَجزاءَ دائِرَتِهِ ، وَكانَتِ العَرُوضُ وَالضَّربُ كَالحَشوِ فِيما يَجوزُ عليهِ مِنَ الزِّحافِ أَو يَمْتنِعُ فيهِ مِنَ العِلَلِ ، أَي : تَستَوِي فيهِ جَميعُ الأَجزاءِ حُكمًـا .

وَالـمُتَأَمِّلُ في التَّعرِيفَينِ لا يَجِدُ بَينَهُما تَعارُضًا ، وَقَد أَشَرتُ إِلى هَذا بِقَولي :

فَذُو التَّـمـامِ أَحْرَزَ الأَجْزاءَا ... طُـرًّا بِـلَا نَقْصٍ بِهِ قَد جـاءَا

ثُمَّ (بِلا نَقْصٍ بِهِ) أَيْ تَسْلَمُ ... عَرُوضُهُ وَالضَّرْبُ مِـمَّا يَلْزَمُ

وَقِيلَ : بَلْ ما حَشْـوُهُ جازَ بِهِ ... ما جـازَ فِي عَروضِـهِ وَضَرْبِهِ

أَوْ قُلْ : إِذا أَجْزاءُ هَذا النَّظْمِ قَدِ اسْتَوَتْ جَميعُها فِي الحُكْمِ
وَذانِكَ الرَّأيـانِ لا تَعـارُضَا بَينَـهُـمـا كَلَّا وَلا تَـنـاقُـضَا

والوافي : هوَ مَا اسْتَوْفَى جَميعَ أَجزائِهِ ، لَكِنْ معَ نَقصٍ في عَروضِهِ أَو ضَربِهِ ، بِأَنْ عَرَضَ لِكُلٍّ مِنهُما أَو لِأَحَدِهِما مِنَ العِلَلِ اللَّازِمَةِ أَو ما جَرى مجْراها مِنَ الزِّحافِ ما لا يَعْرِضُ لِلْحَشوِ .

وَقالَ بَعْضُهُمْ : هوَ ما جازَ في عَروضِهِ وَضَربِهِ ما لا يَجوزُ في حَشوِهِ ، أَو هوَ ما خالَفَ عَروضُهُ وَضَرْبُهُ أَو أَحَدُهُما الحَشوَ فِي الحُكمِ ، كَالطَّوِيلِ ؛ إِذِ القَبضُ في عَروضِهِ واجِبٌ ، وَهوَ جائِزٌ فِي حَشوِهِ ؛ فَقَدِ اخْتَلَفا في الحُكمِ ، وَكَالوافِرِ ؛ إِذْ يَلْزَمُ عَروضُهُ وَضَربُهُ القَطفَ وَهوَ مِمَّا لا يَجوزُ فِي الحَشوِ ؛ وَلِـهَذا قُلتُ :

وَسَمِّـيَنَّ وَافِـيًـا مَـا اسْتَـوْفَى أَجْزاءَهُ لَـكِنْ بِنَـقْصٍ يُلْـفَى
فَهْوَ الَّذِي عَرُوضُهُ لا تَسْـلَمُ أَو ضَرْبُهَا مِنْ أَيِّ نَقْصٍ يَلْزَمُ
وَمَنْ يَقُـلْ ما جـازَ في ضَرْبَيْهِ ما لا يُـرَى حَشْـوًا فَلا عَلَـيهِ

***

*** في أَيِّ بُحورِ الشِّعْرِ يَأتي التَّامُّ والوافي ؟**

*** الجوابُ :**

[في مَنْظُومَةِ (مِعْيارِ اللآلِئِ)] مَثَّلَ الشَّيخُ [حَسَن إِسْماعِيل عَبد الرَّازِقِ] رَحِمَهُ اللهُ لِلتَّامِّ بِأَوَّلِ الكامِلِ ، وَأَوَّلِ الرجَزِ ، وَما دامَ أَنَّ غَرَضَهُ التَّمثِيلُ فَلا يُعْتَرَضُ عليهِ بِتَركِهِ أَوَّلَ الـمُتَدارَكِ ، وَلَو قالَ رَحِمَهُ الله :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ ذا التَّمامِ قَد يَقَعْ فِي كامِلٍ وَرَجَزٍ وَالـمُخْتَرَعْ

لَاسْتَوفَى ما يَجوزُ أَنْ يَقَعَ فيهِ البَيتُ التَّامُّ .

ومَثَّلَ الشَّيخُ لِلْوافي بِالطَّويلِ ، وَهوَ حَقًّا يَأتي فيهِ ، وَيَأتي كَذَلِكَ فِي البَسيطِ وَالوافِرِ وَالرَّمَلِ وَالسَّريعِ وَالـمُنسَرِحِ وَالخَفيفِ وَالـمُتَقارَبِ ، بِالإِضافَةِ إِلى البُحورِ الَّتي يَقَعُ فيها التَّامُّ ، وَهيَ : الكامِلُ وَالرجَزُ وَالـمُتَدارَكُ .

* * *

*** بَيتٌ بِضَربِه عِلَّةٌ مِن عِلَلِ الزِّيادَةِ لا النَّقْصِ : هَل يَكونُ تامًّا أَو لا ؟**

*** الجوابُ :**

عِلَلُ الزِّيادَةِ - وَهِيَ التَّسبيغُ والتَّرفيلُ والتَّذييلُ - لا تَدخُلُ إلَّا المجزوءاتِ ؛ لِتَجبُرَ ما حَلَّ بِها مِن نَقصٍ بِالجزْءِ، كَما قُلتُ :

وَفي سِوَى الـمَجْزوءِ لا تَراهَا لِتَجْبُرَ النَّقْـصَ الَّذِي اعْـتَراهَا

والضَّمِيرُ في (اعْتَراها) يَعودُ عَلى الأَبياتِ الـمَجزوءَةِ . وَما دامَتْ هَذِهِ العِلَلُ لا تَدخُلُ إلَّا المجزوءاتِ فَكَيفَ تَكونُ الأَبياتُ تامَّةً أَو وافِيَةً وَهيَ لَـمْ تَستكمِلْ أَجزاءَ دائِرَتِها !؟

* * *

*** لِـمَ لا يُلَقَّبُ الـمُتَقارَبُ الَّذِي استكْمَلَ أَجزاءَ دائِرَتِهِ وَصَحَّتْ فِيهِ العَروضُ وَالضَّربُ تامًّا ؟**

*** الجوابُ :**

لِأَنَّ العَروضَ قد يَدخُلُها الـحَذفُ ، وَهوَ لا يَدخُلُ الـحَشوَ :

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ بَـيـتَـهُ لَا يُـعْـتَــبَرْ إِنْ صَـحَّ ضَرْبٌ ذَا تَـمامٍ فِي النَّظَرْ

إِذْ جازَ فِي العَروضِ حَذْفٌ وَهْوَا لَيسَ يَـجوزُ أَنْ يَـحِـلَّ الـحَشْوَا

❊ ❊ ❊

ضبط اسم كتاب الصحاح بين الفتح والكسر

أحمد الشنقيطي

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ فِقْهِ اللُّغَةِ وَمَعَانِيهَا)

ضَبطُ اسمِ كتابِ (الصحاحِ)

بين الفَتحِ والكَسرِ

ضمَّني مجلسٌ مع بعضِ الإخوةِ الأفاضلِ ، جَرَى فيه ذكرُ اسمِ كتابِ (الصِّحاحِ) بكسرِ الصادِ ، فبَدرَ أحدُ الحاضرين إلى التنبيهِ إلى أنَّ الضبطَ الصحيحَ هو الفتحُ ، فبَدا كأنه يُخَطِّئُ وجهَ الكسرِ !

فعُدتُ وفي نفسي رغبةٌ في تحريرِ المسألةِ ، ولم ألبثْ أن قلَّبتُ النظرَ في مظانِّها مِن كُتُبِ اللغةِ وغيرِها ، حتى صَدَرتُ عنها وقد زادَ يَقيني بجوازِ الوجهَين ، أَعني فتحَ الصادِ وكسرَها :

- فالأوَّلُ : بمعنى الصحيحِ [1] .
- والآخرُ : جمعُ (صحيحٍ) .

---

(١) ينظر : (الصحاحُ : ١/ ٣٨١) ، و (القاموسُ – ص : ٢٢٨) .

والفرقُ بينهمـا هو الفرقُ بينَ الوصفِ المفـردِ والوصفِ المجمـوعِ ، وكِلاهما يَصلحُ للدلالةِ على معجمِ الجوهريِّ المعروفِ :

- فالصَّحاحُ بالفتحِ : وصفٌ للكتابِ بالصحَّـةِ .
- وبالكسرِ : وصفٌ للُّغاتِ الواردةِ فيه بالصحَّةِ .

والجوهريُّ صاحبُ (الصحاحِ) لـم يَنُصَّ على تخصيصِ أحدِ الضَّبطَين ، حتى يُرجَعَ ويُصارَ إليه فيكونَ هو الراجحَ .

وعزا الزَّبيديُّ إلى شيخِه محمَّدِ بنِ الطيِّبِ الفاسيِّ قولَه : « ولـم يَردْ عنِ المؤلِّفِ في تخصيصِ أحدِهما بالسندِ الصحيحِ ما يُصارُ إليه ، ولا يُعدَلُ عنه » اهـ [٢]

فلا داعيَ إذنْ لتخطئةِ أحدِ الوجهَين ، أو حملِ الناسِ على الوجهِ الآخرِ . فمتى جازَ توجيهُ أحدِ اللفظَين لا يُحكمُ عليه بالتخطئةِ .

وإنَّمـا مَدارُ الحُكمِ في هذا النوعِ منَ المسائلِ هو الترجيحُ بين اللفظَـين في الفصـاحـةِ ، إذا دلَّ عليه دليـلٌ ، فإن لـم يكنْ دليـلٌ تسـاويَـا في الحكـمِ بالصحَّـةِ

(٢) (تاج العروس : ١/ ٧٥) .

والفصاحةِ ، ولا عبرةَ بعدَها بالتخطئةِ والترجيحِ .

***

* ترجيحُ الكسرِ :

لكنِّي أرى مِنِ استِقرائي لـهذه الـمسألةِ رُجحانَ الكسرِ - معَ صحَّـةِ الفتحِ - ؛ لـمـا يلي :

١ . (الصَّحـاحُ) بالفتحِ - بمعنى الصحيـحِ - سمـاعيٌّ لا قيـاسيٌّ [٣] ، في حـينِ أنَّ (الصِّحاحَ) بالكسرِ يَعضُـدُه السمـاعُ والقياسُ معًا ، فـ (فِعالٌ) جـمعٌ مُطَّرِدٌ في (فَعِيلٍ وفَعِيلةٍ) بمعنى الفاعلِ ؛ تقولُ في جمعِ (كريمٍ وكريمةٍ) : (كِرامٌ) .

قالَ ابنُ مالكٍ وهوَ يَعُدُّ ما يَطَّرِدُ جمعُه على (فِعالٍ) :

وفي فَعِيلٍ وَصْفَ فاعلٍ وَرَدْ كذاكَ في أُنْثَـاهُ أيضًا اطَّـرَدْ [٤]

---

(٣) وقد وردَ من هذا النوعِ - أي : بابِ (فَعِيلٍ وفَعالٍ) بمعنى- أمثلةٌ مسموعةٌ ، لا يتجاوزُ عددُها أصابعَ اليدِ . وعَقدَ له ابنُ السِّكِّيتِ في (إصلاحِ المنطقِ) بابًا سمَّاه : (بابَ فَعيلٍ وفَعالٍ) ، وذكرَ من أمثلتِه : كَهِيم وكَهَام ، أي : الذي لا عناءَ عنـدَه ، وشَحِيح وشَحَاح ، وصَحِيح وصَحَاح ، وعَقِيم وعَقَـام ، وبَجِيل وبَجَال أي : الضخم الجليل ، وجَرِيم وجَرام ، وهو التمرُ اليابسُ . ينظر : (إصلاحُ المنطقِ - ص: ٨٥) .

(٤) البيتُ رقم (٨١١) في الألفيَّةِ ، بابُ (جـمعِ التكسيرِ) . ينظر : (ألفيَّةُ ابنِ مالكٍ) ، ضبطُ وتعلـيقُ : =

فيكونُ (الصِّحاحُ) بالكسرِ - في اسمِ الكتابِ - وَصْفًا للُّغاتِ ؛ أي : اللغاتِ الصِّحاحِ .

٢. أنَّ الكسرَ هو الضبطُ الذي نصَّ عليه واختارَه كثيرٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين . ومنهم :

- أبو زكريَّا الخطيبُ التَّبريزيُّ الذي نَقلَ عنه السيوطيُّ قولَه : « كتابُ (الصِّحاحِ) بالكسرِ ، وهوَ المشهورُ ، وهو جمعُ صحيحٍ : كـ (ظريفٍ وظِرافٍ) ؛ ويقال : (الصَّحاحُ) بالفتحِ ، وهو مفردٌ نعتٌ كصحيحٍ » اهـ[٥]
- وقال الزَّبيديُّ في مقدِّمةِ (التاجِ) : « اختُلفَ في ضبطِ لفظِ (الصحاحِ) ، فالجاري على ألسنةِ الناسِ الكسرُ ، ويُنكرون الفتحَ ، ورجَّحه الخطيبُ التبريزيُّ على الفتحِ ، وأقرَّه السيوطيُّ في (المزهرِ) » اهـ[٦]
- وقال القِنَّوجِيُّ في (البُلغةِ) : « قلتُ : سمَّى الجوهريُّ كتابَه بـ (الصِّحاحِ) في اللغةِ أي اللغاتِ الصحيحةِ . وقال في خُطبتِه : « أودعتُ في هذا الكتابِ ما صَحَّ عندي من هذه اللغةِ التي شَرَّف اللهُ منزلتَها ، وجَعلَ عِلمَ الدينِ

= عبدِ اللطيفِ الخطيبِ (ص : ٥٣) .

(٥) (المزهِر : ١/ ٧٥) .

(٦) (تاج العَروس : ١/ ٧٥) .

والدنيا مَنُوطًا بمَعرفتِها على ترتيبٍ لم أُسبَقْ إليه ، وتهذيبٍ لم أُغلَبْ عليه ... » [٧] . قالَ بعضُهم : فالظاهرُ من كلامِه أنَّ اسمَه (الصِّحاحُ) بالكسرِ ؛ لِكونِه صِفَةَ اللُّغاتِ » اهـ [٨]

- ويَدلُّ عليه أيضًا : قولُ نورِ الدينِ عليِّ بنِ محمدٍ العفيفِ العليفيِّ المكِّيِّ في (تَقريظِ القاموسِ) :

مُذ مَدَّ مَجدُ الدِّينِ في أَيَّامِهِ مِن بَعضِ أَبْحُرِ عِلْمِهِ (القامُوسَا)
ذَهبتْ (صِحاحُ) الجوهَرِيِّ كأنَّها سِحْرُ المَدائِنِ حِينَ أَلقَى مُوسَى [٩]

والسياقُ يدلُّ على الكسرِ ؛ لأنَّه قال : « ذَهبتْ » ، و« كأنَّها » .

- ويَدلُّ عليه كذلكَ كلامُ صاحبِ (الصُّراحِ) [١٠] حيثُ قالَ : « ظَفِرتُ بنُسخةٍ

---

(٧) (صحاحُ الجوهريِّ : ١/ ٣٣) .

(٨) (البلغةُ إلى أصولِ اللغةِ – ص : ١٨٦) .

(٩) يُنظرُ : (المزهِر : ١/ ٧٨) ، و(تاج العَروس : ١/ ٧٤) ، و(فلك القاموسِ) للكوكبانيِّ (ص : ٤٦) ، و(البلغةُ إلى أصولِ اللغةِ – ص :٢٠١) .

(١٠) لعلَّه كتابُ (الصُّراحِ من الصحاحِ) ، وهو ترجمةٌ فارسيَّةٌ لصحاحِ الجوهريِّ مع إبقاءِ الآياتِ والأحاديثِ والشِّعرِ والأمثالِ باللغةِ العربيَّةِ ، وصاحبُ الترجمةِ هو : أبو الفضلِ محمَّدُ بنُ خالدٍ القرشيُّ (ت ٦٨١) . يُنظرُ : (البحثُ اللغويُّ عندَ العربِ – ص : ٣٦٣) .

مُصحَّحَةٍ في أربعِ مجلَّداتٍ ضِخامٍ صِحاحٍ كاسمِها غيرِ سِقام » اهـ [11]

* * *

*** الفتحُ أيضًا صحيحٌ :**

ومعَ ذلك ، لا شكَّ أنَّ الفتحَ صحيحٌ أيضًا ، وإن كانَ لم يَشتهِرْ .

قال القِنَّوجِيُّ في (البُلغةِ) : « قالَ المناويُّ : « الكتابُ يُروَى بهما ، وقيلَ : إنَّ المصنِّفَ سمَّاه بالفتحِ لا غيرُ » ، وقال ابنُ الطيِّبِ الفاسيُّ : « كِلا الضبطَين صحيحٌ ، خلافًا لمنْ أنكرَ الفتحَ، ولمن رجَّحه على الكسرِ » » اهـ [12]

وكلامُ المناويِّ وابنِ الطيِّبِ يُشعِرُ أنَّ هناك مَن قالَ بترجيحِ الفتحِ ، وإن لـم يُعيِّناه . وكذلك الزَّبيديُّ قالَ بعدَ كلامِه المتقدِّمِ : « ومنهم مَن رجَّحَ الفتحَ » اهـ [13] ولـم يُعيِّـنْه أيضًا .

غيرَ أنِّي عَثرتُ على شخصَين نُسبَ إليهما ترجيحُ الفتحِ ، وهما الفقيهُ أبو عبدِ الله

---

(١١) (البلغةُ إلى أصولِ اللغةِ – ص : ١٨٦) .

(١٢) تُنظرُ هذه الأقوالُ في : (البُلغةِ إلى أصولِ اللغةِ – ص : ١٨٦) .

(١٣) (تاج العَروس : ١/ ٧٥) .

محمَّدُ بنُ يحيى الباهليُّ (ت ٧٤٤) ، والقاضي أبو عبدِ الله الـمَقْريُّ (ت ٧٥٩) . والأوَّلُ شيخُ الثاني . (١٤)

ولم أجدْ في أثناءِ البحثِ من نُسِبَ إليه ترجيحُ الفتحِ تَعيينًا غيرَ هذَين ، وذلك في قصَّتَين متشابهتَين : أُولاهما ذكرَها الـمَقْريُّ الحفيدُ في (نَفحِ الطيبِ) (١٥) ، والأخرى أوردَها أبو إسحاقَ الشاطبيُّ في (الإفاداتِ والإنشاداتِ) . (١٦)

***

---

(١٤) من الواضحِ أنَّ القاضيَ أبا عبدِ الله المقْريَّ أخذَ هذا القولَ من شيخِه الفقيهِ الباهليِّ ، ويدلُّ على ذلك تشابُه القصَّتَين ، وتصريحُه بالاستفادةِ منه .

(١٥) قالَ المقْريُّ التلمسانيُّ في (نَفحِ الطيبِ) وهو يذكرُ حديثَ جدِّه المقْريِّ الكبيرِ عن شيوخِه : « فمِنهم الفقيهُ أبو عبدِ الله محمَّدُ بنُ يحيى الباهليُّ ، عُرِفَ بابنِ المسفرِ ، باحَثْتُه واستفدتُ منه - الضميرُ هنا للمَقْريِّ الجدِّ - ، وسألني عن اسمِ كتابِ الجوهريِّ ، فقلتُ له : مِن الناسِ مَن يقولُ : (الصِّحاح) بالكسرِ ، ومنهم مَن يفتحُ ، فقالَ : إنَّما هو بالفتحِ بمعنى الصحيحِ ، كما ذكره في بابِ (صحَّ) ، قلتُ : ويَحتَمِلُ أن يكونَ مصدرَ (صحَّ) كحنان » اهـ يُنظرُ : (نَفحُ الطيبِ مِن غُصنِ الأندلُسِ الرطيبِ : ٥/ ٢٥٠) ، تح : إحسان عبَّاس .
قلتُ : يَعني بقولِه : « كما ذكره في باب (صحَّ) » ما وردَ في (الصِّحاح : ١ / ٣٨١) ، في مادَّةِ (صحَّ) : « وصَحَّحَهُ الله ، فهو صَحيحٌ وصَحاحٌ بالفتحِ . وكذلك صَحيحُ الأدِيمِ ، وصَحَاح الأَدِيم بمعنًى » اهـ

(١٦) قال أبو إسحاقَ الشاطبيُّ : « سألني الشيخُ القاضي أبو عبد الله الـمَقْريُّ عن اسم كتابِ الجوهريِّ ، =

* الخُلاصةُ :

نَخلُص مـمَّا سَبقَ إلى : أنَّ الفتحَ والكسرَ كِلاهما صحيحٌ ، والكسرُ أشهرُ الرِّوايتَين ، فقد نُقلَ عن الخطيبِ التَّبرِيزيِّ ، وأقرَّهُ السيوطيُّ ، ورجَّحَهُ الزَّبيديُّ والقِنَّوجِيُّ ، ودَلَّ عليه السياقُ في بَعضِ النُّصوصِ التي أوردْناها في أثناءِ البحثِ .

فلا يَنبغي لأحدٍ - بعدَ ذلك - أنْ يُخَطِّئَ إحدَى اللغتَين ، فإن اقتصَرَ على إحداهما أو اختارَها دونَ إعلانِ النَّكيرِ على اللغةِ الأخرى ، فلا جُناحَ عليه .

* * *

= فقـلتُ له : من النـاسِ مَن يقولُ لـه : (الصِّحـاح) بالكسرِ ، ومِنهم من يَفتحُ . فقـالَ : إنَّمـا هو بالفتحِ بمعنى الصَّحيحِ كـمـا ذكره في باب (صحَّ) ، ويَـحتَـمِلُ أن يكونَ مصدرَ (صحَّ) كحَنان » اهـ (الإفاداتُ والإنشاداتُ - ص : ١٤١) ، تح : أبو الأجفانِ .

وتنبَّهْ إلى أنَّ الـمَقْـريَّ الكبيرَ كرَّرَ الطريقةَ نفسَها في السُّؤالِ والجوابِ ، كمـا حدَثَتْ له مع شيخِه الفقيهِ أبي عبدِ الله الباهليِّ . وهذا يدلُّ على أنَّه تَبعَ شيخَه في هذه المسألةِ ، أي : في اختيارِ الفتحِ في ضَبطِ اسمِ كتابِ (الصحاحِ) .

تنبيهات على مواضع من كتاب

الوحشيات (٢)

صالح العمري

(مَقَالٌ مُسْتَلٌّ مِنْ حَلْقَةِ الأَدَبِ والأَخْبَارِ)

تَنبِيهات على مَواضِعَ مِن كِتابِ

(الوَحشِيَّات) (٢)

* المقطوعةُ (٦٠) *

قالَ محمَّدُ بنُ حُمرانَ أبي حُمرانَ :

١. أَبْلِغْ بَنِي حُمْرانَ أَنْـ ـنِي عَنْ عَداوَتِكُمْ غَنِي
٢. يَكْفِيكَ بَغْيُ الأَبْلَخِ الـ ـجبَّارِ إِذْ تُرِكَ النَّضِي
٣. في نَحْرِهِ مُتَقَبِّضًا كَتَقَبُّضِ السَّبُعِ الرَّمِي
٤. إِنَّ المَنِيحَ طَحا بِهِ نِيَةُ الأَياصِرِ وَالنَّصِي
٥. والحالِبُ العَجْلانُ كَالـ ـمِخْراقِ وَالزِّقُّ الرَّوِي
٦. ما إِنْ يَغِيبُ بِهِ الدَّها سُ وَلا يَزِلُّ بِهِ الصُّفِي
٧. يَعْدُو كَعَدْوِ الثَّعْلَبِ الـ ـمَمْطُورِ رَوَّحَهُ العَشِي
٨. بِقَوائِمٍ عُوجٍ شَما طِيطٍ وَهادٍ رَعْشَنِي

٩. تُـدْرَى ذَوائِـبُـــهُ كَـمـا تُـدْرَى إِلى العُرُسِ الـهَـدِي (*)

***

هذه المقطوعةُ كما وردتْ في كتابِ (الوحشيَّاتِ) ، والمواضعُ التي لوَّنتُها هي التي سأتحدَّثُ عنها إن شاء الله ، وليست كلُّها مواضعَ أخطاءٍ .

***

(الموضعُ الأوَّلُ)

٤. إِنَّ الـمَنِـيـحَ طَـحـابِـهِ نِـيَـــةُ الأَيــاصِرِ وَالـنَّـصِي

وليسَ الموضعَ الذي أنكرتُه على أبي فِهرٍ رحمه الله تعالى ، وأنشأتُ المقالَ مِن أجلِه ، إنَّما هو شيءٌ أردتُ أن أصحِّحَه خدمةً للأدبِ وطلَّابِه .

(*) تنبيهٌ مهمٌّ : ضُبِطَتْ قَوافي مقطوعةِ (الوحشيَّاتِ) الـمذكورةِ في الأصلِ بشَدَّةٍ عليها سكونٌ ، هكذا : (غَنِيْ) ، (نَضِيْ) ، (رَمِيْ) ... الخ ، والصوابُ تخفيفُ هذهِ الياءاتِ - كما ضَبطْناها في هذه المقالَةِ - ، لأنَّ ضبطَها بالشدَّةِ يخلُّ بالوزنِ ، ينظر للاستزادةِ : مقالةُ (الحرفِ المشدَّدِ والرَّويِّ المقيَّدِ) للأستاذةِ عائشةَ بنتِ عليٍّ ، والمقالةُ منشورةٌ في العددِ الأوَّلِ مِن مجلة الملتقى (ص : ٢٨) . (هيئة التَّحريرِ)

ولأبي فِهرٍ رحمه الله تعالى حاشيةٌ جيِّدةٌ على هذا البيتِ ، سأورِدُ الآن جزءًا منها والباقي أورِدُه في حينِه إن شاء اللهُ .

قال رحمه الله تعالى : « المَنِيحُ : اسمُ فرسٍ ، انظرْ كتبَ الخيلِ » اهـ

قلتُ : قولُ الشيخِ هذا حقٌّ لا إشكالَ فيه ، لكنِّي لم أرَهم نصُّوا على أنَّ هذا الفرسَ للشُّويعرِ محمَّد بنِ حُمرانَ صاحبِ هذه المقطوعةِ ، ولا أظنُّ الشيخَ وقفَ على ذلكَ في كلامِهِمْ ، وأحسبهُ لو وقفَ على مثلِ هذا لأثبتَه . إنَّما الذي وجدتُهُ :

١. في كتابِ (أسماءِ خيلِ العربِ وفرسانها) لابنِ الأعرابيِّ : « من بني شيبانَ : ... قيسُ بنُ مسعودٍ ، فرسهُ : المَنِيحُ » اهـ

٢. وفي (القاموسِ – مادَّة : م ن ح) : « والمَنيحُ ، كأميرٍ : ... وفرسُ القويمِ أخي بني تَيم ، وفرسُ قيسِ بن مسعودٍ الشيبانيِّ » اهـ

وكتبُ الخيلِ كثيرةٌ لم أبحثْ فيها كلَّها ، لأنِّي وقفتُ على الصوابِ إن شاء اللهُ ، فصوابُ هذا الموضعِ في هذا البيتِ ، ما أنشدَه ابنُ الأعرابيِّ في كتابِه المذكورِ ، قالَ : « خيلُ اليمنِ :

الأسعرُ بنُ مالكٍ الجُعفيُّ ، فرسُهُ : (المعلَّى)... ولهُ أيضًا : (الضَّبِيحُ) ، قالَ فيهِ :

« إنَّ الضَّبيحَ ... » »اهـ

قلتُ : هذا هوَ الصوابُ إن شاء اللهُ ، والكلمةُ فيها تحريفٌ ، فالضادُ دائرتُها تشبهُ دائرةَ الـميمِ ، ونُقِلتْ نقطتُها إلى ما بعدَها فصارَ نونًا ، فتحوَّلتْ (الضَّبِيح) إلى (المَنِيح) ، وممَّا يؤيِّدُ ذلكَ ما يلي :

١. أنَّ ابنَ الأعرابيِّ جعلَ هذهِ الفرسَ للأسعرِ الجُعفيِّ ، وهو عمُّ محمَّدِ بنِ حُمرانَ الشُّويعرِ صاحبِ هذهِ المقطوعةِ ، كمـا ذكرَ الميمنيُّ رحمه الله في تعليقهِ على المقطوعةِ نفسِها في (الوحشيَّاتِ) .

قلتُ : فيجوزُ أن يكونَ ابنُ الأعرابيِّ أخطأَ في نسبةِ الفرسِ للأسعرِ وهيَ لابنِ أخيهِ ، فأخطأَ لقُربِ ما بـينَ الرجلَينِ ، ويجوزُ أيضًا أن تكونَ الفرسُ للأسعرِ كمـا قالَ ابنُ الأعرابيِّ ، وذكرها ابنُ أخيهِ في شعرهِ ، ولا ضيرَ في ذلكَ فهيَ فرسُ عمهِ .

بلْ أزيدُ على هذا أنَّ الأبياتَ نُسِبتْ أيضًا للأسعرِ نفسهِ ، فيكونُ الأسعرُ ذكرَ الفرسَ وهيَ فرسهُ ، على أنَّ الميمنيَّ رحمه الله ردَّ نسبةَ الأبياتِ للأسعرِ ، وقالَ : إنَّها لابنِ أخيهِ الشويعرِ .

٢. قالَ الصغـانيُّ في (التكـملةِ – مادَّة : ض ب ح) : « والضَّبيـحُ ، على (فَعِـيلٍ) :

فرسُ : الريبِ بن شريقٍ . والضَّبِيحُ أيضا : فرسُ الشويعرِ ، وهو محـمَّد بن حُـمرانَ الجعفيُّ » اهـ

٣. قالَ في (القاموسِ – مادَّة : ض ب ح) : « والضَّبِيحُ : أفراسٌ للريبِ بنِ شريقٍ ، وللشويعرِ محمَّدِ بنِ حمرانَ ، وللحازوقِ الحنفيِّ الخارجيِّ ، وللأسعرِ الجعفيِّ ، ولداودَ بنِ متمم » اهـ

فصاحبُ (القاموسِ) جمعَ القولينِ كليهما كما ترى .

فهذا ما يتعلَّقُ بهذا الموضعِ من هذا البيتِ .

***

(الموضعُ الثاني)

٤. إِنَّ الـمَنِيـحَ طَـحـا بِـهِ نِـيَـةُ الأَيـاصِرِ وَالـنَّـصِي

وقد وقفَ عندَهُ الشيخُ شاكرٌ رحمهُ اللهُ تعالى وارتابَ فيهِ ، لكنَّهُ لم يهتدِ لوجههِ ، وهوَ معذورٌ في ذلكَ ، وأنا لو لم أقفْ على البيتِ في موضعٍ آخرٍ ما اهتديتُ لوجههِ .

قالَ رحمهُ اللهُ تعالى في الحاشيةِ المذكورةِ أولًا : « طحا بهِ : ذهبَ بهِ كلَّ مذهبٍ . ونِيَة : هكذا في الأصلِ ، وأخشى أن تكونَ محرَّفةً ، فإلَّا تكنْ ، فهيَ من قولـهم : نوى

الشيءَ نيَّةً أيْ : قصدهُ – بتشديدِ الياءِ – ، ونِيَةً بفتحِها مخفَّفةٌ ، رواها اللحيانيُّ وحدَهُ ، وهي نادرةٌ ليستْ قياسًا . والأياصرُ : جمعُ أيصرٍ ، وهو الحشيشُ المجتمعُ . والنصيُّ : نبتٌ معروفٌ عندهم ، وهو سبطٌ أبيضُ ناعمٌ من أفضل المرعى للخيلِ » اهـ

قلتُ : لـمَّـا وقفتُ على البيتِ في كتابِ (أسمـاءِ خيلِ العربِ وفرسانها) لابنِ الأعرابيِّ ، عرفتُ صوابَ الـموضعِ الذي أشكلَ على الشيخِ ، وكيفَ وقعَ فيهِ التحريفُ ، والبيتُ كمـا أنشدهُ ابنُ الأعرابيِّ :

إن الضَّبِيحَ طحا بِمَـتْـ ـنَيهِ الأيـاصرُ والنَّـصي

فهذهِ كلمةٌ واحدةٌ : « بِمَتْـنَيْهِ » ، فحُرِّفتْ : (بِمَتْـ) إلى (بِـهِ) ، أما (ـنَيْهِ) فهيَ (نية) ، ما خلا النقطتينِ على التاءِ المربوطةِ .

وتكونُ « الأياصرُ » على صحَّةِ البيتِ مرفوعةً ، لأنَّها فاعلُ « طحا » ، بعدَ أنْ كانتْ مجرورةً على أنَّها مضافٌ إليهِ ، والمضافُ « نِيَةُ » .

ولو نظرتَ في الوجهِ الذي ذكرهُ الشيخُ رحمهُ اللهُ تعالى لرأيتهُ بعيدًا مُستكرَهًا ، فقد ذكرَ أنَّ « نِيَة » بتخفيف الياءِ رواها اللحيانيُّ وحدَهُ ، على أنَّها لو كانت معروفةً عندَ غيرهِ من أهلِ اللغةِ لـم يكنْ معنـاها هنا حسنًا ، فما معنَى أن يكونَ طحا بالفرسِ

إرادةُ الأياصرِ وقصدُها ؟! أيريدُ أنَّهُ يطلبها ويشتاقها فلا يهدأُ لذلكَ ؟! فهذا ليسَ ممَّا تُمدحُ بهِ الخيلُ ، وسأبيِّنُ معنى البيتِ إن شاء اللهُ .

[فقوله :] طحا : أي ذهبَ به كلَّ مَذهبٍ ، كمـا قالَ الشيخُ أبو فِهرٍ . قالَ علقمةُ بنُ عبَدةَ :

طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَروبُ بُعيدَ الشَّبابِ عَصرَ حـانَ مَشيبُ

ومعنى بيتِ الشويعرِ مع البيتِ الذي بعدَه : أنَّ هذا الفرسَ عَظُمَ مَتناه واكتنَزا على أكلِ الأياصرِ والنصيِّ ، وعلى شُربِ ألبانِ اللقاحِ .

والمَتنان : مُكتَنفا الصُّلبِ عن يمينٍ وشمالٍ . وامتلاءُ المتنَين واكتِنازُهما مُستحَبٌّ في الخيلِ ، قالَ امرؤُ القيسِ يصفُ فرسًا :

لَها مَتْنَـتانِ خَظـاتا [1] كَمـا أَكَبَّ على ساعِدَيهِ النَّمِرْ

يقالُ : خَظا لَحـمُه خظوًّا أي : اكتنَزَ . والـمَـتْنـتـانِ : لغةٌ في الـمتنَين . فوصفَ متنَيها

---

(١) قوله : « خظاتا » بالألف :

١. قيلَ : أرادَ : خَظَتا ، فردَّ الألفَ التي هي بدلٌ مِن لامِ الفعلِ .

٢. وقيلَ : أرادَ : خَظاتانِ ، فحذفَ النونَ مِن المثنَّى في غيرِ الإضافةِ .

بالاكتِنازِ والامتلاءِ .

وقال أبو دُؤادٍ الإياديُّ :

وَمَتْنانِ خَظاتانِ كَزُحْلوفٍ مِن الهضبِ

***

(الموضعُ الثالثُ)

٥. والحالِبُ العَـجْـلانُ كَالـ ـمِـخْـراقِ وَالــزِّقُّ الـرَّوِي

قالَ الشيخُ رحمه الله تعالى : « أخشى أن يكونَ أبو تـمَّام قد وضعَ هذا البيتَ في غيرِ موضعِه ، كعادتِه في تَغييرِ ترتيبِ الشِّعرِ » اهـ

وهذا هو الكلامُ الذي أنكرتُه على أبي فِهرٍ رحمه الله تعالى في هذه المقطوعةِ . فالشيخُ شكَّكَ في أبي تـمَّامٍ ، وجوَّزَ أن يكونَ أبو تـمَّام قد غيَّر ترتيبَ الأبياتِ ، وإن كانَ الشيخُ لـم يَجزِمْ بذلكَ .

وقد قرأتُ مثلَ هذا الكلامِ لأبي فِهرٍ رحمه الله تعالى في غيرِ ما موضعٍ ، يتَّهِمُ أبا تـمَّامٍ بتغييرِ روايةِ الشعرِ ، ويقولُ : إنه كثيرُ العبَثِ بالشعرِ .

ومسألةُ تغييرِ أبي تـمَّامٍ للشعرِ وعبَثِه به لا أَنفيها ولا أُثبِتُها ، فإنَّها تحتاجُ إلى نظرٍ وتأمُّلٍ ، وقد ذكرَ ذلكَ غيرُ أبي فِهرٍ ، كالمرزوقيِّ في مقدِّمةِ شرحِه لديوانِ (الحماسةِ) ، قالَ : « حتَّى إنكَ تراه [يعني : أبا تـمَّام] ينتهي إلى البيتِ الجيِّدِ فيه لفظةٌ تَشينُه ، فيجبرُ نقيصتَه مِن عندِه ، ويبدلُ الكلمةَ بأختِها في نقدِه . وهذا يَبِين لمن رجعَ إلى دَواوينِهم ، فقابلَ ما في اختيارِه بها » اهـ

إنَّمـا الذي أنكرُه أن يكونَ هذا هِجِّيرانَا ودَيدانُنَا ، كلَّمـا أشكلَ علينا فهمُ موضعٍ في ديوانِ (الحمـاسةِ) أو (الوحشيَّاتِ) قلنا : عبِثَ فيه أبو تـمَّـام ، وهذا قد وقعَ للشيخِ رحمه الله هنا ، فإنَّه شكَّكَ القارئَ وطالبَ العلمِ في هذا الموضعِ ، ثمَّ لم يُقِمْ على كلامِه هذا بيِّنةً ، والبيتُ هذا في حاقِّ موضعِه ، ولا بدَّ منه بعدَ البيتِ الذي قبلَه ليتمَّ المعنى ويكمُلَ ، وسأبيِّن ذلك إن شاء اللهُ .

قد عرفتَ أنَّ الشويعرَ مَدحَ فرسَـه ، وذكرَ اكتِنازَ مَتنَيه على أكلِ الأياصرِ والنَّصيِّ ، فلمَّـا ذكرَ طعامَه في البيتِ الأوَّلِ أرادَ هنا أن يذكرَ شرابَه ، فإنَّ الفرسَ يحتاجُ إلى الشرابِ كما يحتاجُ إلى الطعامِ أو أشدَّ ، ويؤثِّرُ شرابُه في قوَّةِ بدنِه وتمامِ أعضائِه كما يؤثِّرُ طعامُه ، فقالَ :

٤ . إن الضَّبِيحَ طحـا بِمَتْـ ـنَيـهِ الأيـاصرُ والنَّـصي

٥. والحالِبُ العَـجْـلانُ كَالـ ـمِـخْـراقِ وَالــزِّقُّ الـرَّوِي

فالحالبُ معطوفٌ على الأياصرِ ، وكذلك الزِّقُّ ، فكأنَّه قالَ : طَحا بمَتنَيه الأياصرُ والنصيُّ ولَبنُ اللقاحِ ، إذْ كانَ معلومًا أنَّ اللبنَ لا بدَّ له مِن حالبٍ يحلبُه ، ولا بدَّ له مِن وعاءٍ يكونُ فيه .

واللِّقـاحُ : جمع لِقـحةٍ ، وهي : النـاقةُ التي نُتِجَت فيكونُ لها لـبنٌ ، تكونُ لقحةً شهرَين أو ثلاثةً ثمَّ هي لَبونٌ . (٢)

وإيثارُ العربِ خيلَهم بألبـانِ اللِّـقاحِ أكثرُ مِن أن يُحصى في شِعـرِهم ، فنذكرُ مِن ذلكَ شيئًا يسيرًا ، لأنَّنا لو أردنا الاستِقصاءَ فيه لطالَ ذلك بنا جدًّا :

قالَ الأعرجُ المعنيُّ :

أَرى أُمَّ سَـهْلٍ ما تَزالُ تَفَـجَّـعُ تَلُـومُ وما أَدري عَـلامَ تَوَجَّـعُ
تَلُومُ على أَنْ أَمنَحَ الوَرْدَ لِقـحةً وما تَستَوِي وَالوَرْدَ ساعةَ نَفْزَعُ

(٢) والناسُ اليومَ في جزيرةِ العربِ يسمُّون الخَلِفةَ – وهي واحدةُ الـحواملِ مِن الإبلِ – يسمُّونَها (لْقَحَة) ، ويسمُّونَ اللِّقحةَ التي يكونُ فيها اللبنُ (خَلْفَةً) ، فعَكَسوا الاسمَين ، وغيَّروا في لَفظِهمـا .

إذا هِيَ قامَـتْ حاسِرًا مُشْمَعِلَّةً نَخيبَ الفُـؤادِ رَأْسُها ما يُقَـنَّـعُ
وَقُمْـتُ إِلـيـهِ بِاللِّـجـامِ مُيَسِّرًا هُنالِكَ يَجزِيني بِمـا كُنتُ أَصْنَعُ

وقال خُزَزُ بنُ لَوذانَ :

لا تَذكُـري مُهْـرِي وَما أَطعَـمْتُـهُ فَيكونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ
إِنَّ الغَبـوقَ لَـهُ وَأَنـتِ مَـسُــوءَةٌ فَـتَـأَوَّهي مـا شِـئْـتِ ثُمَّ تَـحَوَّبي
كَـذَبَ العَتِـيقُ وَمـاءُ شَـنٍّ بــارِدٌ إِنْ كُنْـتِ سائِلَتِي غَبوقًـا فَاذْهَـبِي

وقالَ يزيدُ بنُ الخذَّاقِ :

قَصَرْنا عَلَيـها بِالـمَقِـيظِ لِقـاحَـنا رَبـاعِـيَـةً وَبــازِلًا وَسَــدِيـسَــا
فَآضَتْ كَتَيْسِ الرَّبْلِ تَنْزُو إِذا نَزَتْ عَلَى رَبِــذاتٍ يَغْـتَــلِينَ خُـنـوسَا

* * *

(الموضعُ الرابعُ)

٥. والحالِبُ العَـجْـلانُ كَالـ ـمِـخْـراقِ وَالــزِّقُّ الـرَّوِي

قد ذكرَ فيهِ عجلةَ هذا الـحـالبِ ، كأنَّهم يستحِثُّونَه ويستعجِلونَه ليَعجَـلَ بِاللبنِ

إكرامًا لهذا الفرسِ وحِرصًا عليه . وقد ذكَّرني هذا ببَيتِ النَّجاشيِّ وإن كانَ ليسَ مثلَه في المعنى ، لكنَّه ذكَرَ فيه استِعجالَهم للحالبِ ، إذْ يقولُ :

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدُرونَ بِذِمَّةٍ وَلا يَظْلِمونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

إلى أن يقولَ :

وَما سُمِّيَ العَجْلانَ إلَّا لِقَولِهِمْ خُذِ القَعْبَ وَاحْلِبْ أَيُّها العَبْدُ وَاعْجلِ

يَهجو بذلكَ تميمَ بن أبيٍّ بنِ مقبلٍ وهو مِن بني العَجلانِ .

والشويعرُ شبَّه هذا الحالبَ العَجلانَ لخِفَّتِه وسُرعتِه ونَشاطِه بالمِخراقِ ، والمخراقُ : المنديلُ يلفُّ ليُضرَبَ به ، وهو خفيفٌ فتكونُ حركتُه وتقلُّبُه في اليدِ سريعةً جدًّا ، فلذلكَ إذا أرادوا أن يَصِفوا حذقَهم في القتالِ بالسيفِ ، وسرعةَ ما يضربونَ به ، شبَّهوه بمخاريقِ الوِلدانِ الذين يلعبونَ ، قالَ قيسُ بنُ الخطيمِ :

أُجالِدُهُمْ يَومَ الحَديقَةِ حاسِرًا كَأَنَّ يَدِي بِالسَّيفِ مِخْراقُ لاعِبِ

وقالَ عَمرُو بنُ كلثومٍ :

كَأَنَّ سُيوفَنا مِنَّا وَمِنهُمْ مَخارِيقٌ بِأَيدي لاعِبِينَا

وأمَّـا الزِّقُّ فـإنَّ كثيرًا مِن النـاسِ يظـنُّه الذي تُنـقَلُ فيه الخمرُ دونَ غـيرِها ، كمـا قالَ :

وَيَومٍ شَديدِ الحرِّ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عَنَّا وَاصْطِفاقُ المزاهِرِ

وليسَ الأمرُ كذلكَ في بيتِ الشويعرِ ، بل الزِّقُّ هنا الوَطْبُ الذي يكونُ فيه اللبنُ . قالَ في (اللِّسانِ) : « قالَ الأصمعيُّ : « الزِّقُّ الذي يُسوَّى سِقاءً أو وطْبًا أو حميتًا » اهـ وقالَ في (القاموسِ) : « وبالكسرِ [يعني: الزِّقَّ] : السِّقاءُ » . وقال في (س ق ي) : « السِّقاءُ ، ككِساء : جِلدُ السَّخلةِ إذا أَجذَعَ ، يكونُ للمـاءِ واللبنِ » اهـ

هذا ما أردتُ أن أبيِّنَه في هذا البيتِ ، والله تعالى أعلم .

***

(الموضعُ الخامسُ)

٧. يَعْدُو كَعَـدْوِ الثَّعْـلَبِ الـ ـمَـمْـطُـورِ رَوَّحَـهُ الـعَـشِي

هذا البيتُ صحيحٌ إن شاء اللهُ ، والموضعُ الذي لوَّنتُه وقعَ فيه خطأٌ في غيرِ هذا الكتابِ ، فأردتُ أن أصحِّحَه ليعرفَه طالبُ العلمِ .

والشويعرُ في هذا البيتِ يصفُ عَدْوَ فرسِه ، صَورتَه وسُرعتَه .

أما صورةُ العدوِ : فبيَّنَها بقولِه : « كَعَدْوِ الثَّعْلَبِ » ، فإنَّ الفرسَ خلقٌ عجيبٌ له ضروبٌ وأساهيجُ مِن العدوِ ، فمِنها الثعلبيَّـةُ ، إذا عدا عدوَ الثعلبِ ، ومعلومٌ أنَّهم يريدونَ أنَّ عدوَه هذا يشبِهُ عدوَ الثعلبِ في صورتِه لا في سُرعتِه .

فلمَّـا ذكرَ الشويعرُ صورةَ عـدوِ فرسِه أرادَ أن يبيِّنَ سرعةَ عدوِه ، فجاءَ بأمـرَين آخرَين ، وهما في قولِه : « المَمْطُورِ رَوَّحَهُ العشِيّ » .

فالممطورُ : الذي أَصابَه المطرُ ، و« روَّحَه العـشِيُّ » : أي أدركَه العشيُّ وهو بعيدٌ عن وِجارِه . فَجَعْلُهُ الثعلبَ ممطورًا دلَّ على سرعةِ عدوِه ، لأنَّ الثعلبَ في هذهِ الحالِ يُسرعُ غايةَ الإسراعِ لينجوَ مِن المطرِ ، ويأويَ إلى مكانٍ يُجِنُّه .

وهذا المعنى جاءَ في الشعرِ كثيرًا ، وإن كانَ الذي يحضرُني منه ليسَ في وصفِ الثعلبِ ، لكنَّ المعنى في ذلك واحدٌ .

قالَ سلَمةُ بن الخرشبِ الأنمـاريُّ يصفُ فرسًا :

فَلَو أنَّها تَجري علَى الأَرضِ أُدْرِكَتْ وَلَـكِـنَّـهـا تَـهْفو بِتمـثـالِ طـائِـرِ
خُـدارِيَّـةٌ فَـتْخـاءُ أَلْـثَـقَ رِيـشَـها سَحَـابةُ يومٍ ذي أَهـاضيبَ مـاطِرِ

[وقوله :] « ألثـقَ ريشَها » : أي بلَّلَهُ ، فشبَّه الفرسَ بعُقابٍ بلَّلَ المطرُ ريشَها فهي تُبادِرُ إلى وَكرِها .

وقالَ الأجدعُ الهمْدانيُّ يصفُ خيلًا :

إذا قيلَ يَومًا : يا صَباحَا ، رَأَيتَها كَعِقبانِ يَومِ الدَّجْنِ أَلْثَقَها القَطْرُ

وقولُ الشويعرِ : « روَّحه العشيّ » يدلُّ على سَرعتِه ، لأنَّه يبادِرُ إلى وجارِه ويشتدُّ في عدوِه قبلَ إطباقِ الظَّلامِ عليه ، وقد جاءَ هذا في الشِّعرِ أيضًا . قالَ الأخطلُ يصفُ رجلًا يزعُمُ الأخطلُ أنَّه هربَ على فرسٍ له :

فَـظَلَّ يُفَدِّيـهـا وَظَلَّـتْ كَأَنَّـــها عُقابٌ دَعاها جِنحُ لَيلٍ إلَى وَكْرِ

فالشويعرُ لـم يَقنعْ بجَعلِ هذا الثعلبِ ممطورًا كمـا صنعَ سلمةُ بنُ الخرشَبِ والأجدعُ الهمْدانيُّ بالعُقابِ ، ولا بجَعلِه مُؤصِلًا يخافُ أن يدركَه الليلُ بعيدًا عن وجارِه كما صنعَ الأخطلُ ، فلَمْ يقنعْ بذلكَ حتَّى جمعَ بين الأمرَين ، والله تعالى أعلَمُ .

وإنَّما بيَّنتُ ما في هذا البيتِ ليَسهُلَ رؤيةُ الخطأِ في الموضعِ الذي سأذكرُه ، وهو في كتابِ (البُرصانِ والعُرجانِ) للجاحظِ .

فاعلَمْ أنَّ كتابَ (البُرصانِ والعُرجـانِ) للجاحـظِ ، وُجِدَ منهُ مخطـوطةٌ واحدةٌ

بِبلادِ المغربِ ، لم يوجَدْ غيرُها فيما أعلَمُ . وحَقَّقَ الكتابَ على هذهِ المخطوطةِ الفريدةِ اثنانِ مِن المحقِّقِين : عبدُ السلامِ هارون ، والدكتورُ محمَّد مرسي الخولي .

وإنَّما ذكرْنا كتابَ (البُرصانِ) في كلامِنا على مقطوعةِ محمَّدِ بنِ حمرانَ ، لأنَّ بعضَ أبياتِ الـمقطوعةِ وردَتْ في كتابِ الـجـاحظِ . والبيتُ الذي فيه ذِكرُ الثعلبِ ، [جاءَ مُغايِرًا لما في (الوحشيَّاتِ)] ، فأثبتَه الدكتورُ الخوليُّ في نشرَتِه هكذا :

يَعْدُو كَعَدْوِ الثَّعلَبِ الـمَمْطورِ بَلَّلَهُ العَشِي

وأمَّا هارونُ رحمه الله فأثبتَ البيتَ هكذا :

يَعْدُو كَعَدْوِ الثَّعلَبِ الـمَمْطورِ بالله العَشِي

وما أثبتَه الدكتورُ الخوليُّ أشبَهُ بالصوابِ ، وما أراهُ إلَّا روايةً ثانيةً لِـمـا في كتابِ (الوحشيَّاتِ) ، ومعناهما واحدٌ ، فقولُه : « بَلَّلَه العشِيّ » أسندَ فيهِ الفعلَ إلى العشِيِّ لأنَّه وقعَ فيه ، وإن كانَ الذي بلَّلَ الثعلبَ المطرُ أو السحابُ ، ولهذا نظائرُ كثيرةٌ في كلامِ العربِ .

وقولُه : « الـمَمْطورِ بَلَّلَهُ العشِيّ » كقولِه : « الـمَمْطورِ روَّحَه العشِيُّ » ، والمعنى فيهِمـا : أنَّه مَمطورٌ ، وأنَّه في وَقتِ العشِيِّ ، وقد عرفتَ فائدةَ ذكرِ الشاعرِ لهذا .

أمَّا ما أثبتَه الأستاذُ هارونُ ، وهو : « المَمْطورِ بِالله العشِي » ، فَلا أراهُ صحيحًا أبدًا . وقد يقولُ قائلٌ : إنَّ هذا على تَقديرِ مُضافٍ مَحذوفٍ ، والتقديرُ : « المطورِ بفَضلِ الله » ، فحَذفَ المضافَ ولهذا نظائرُ كثيرةٌ ، ويكونُ العشيُّ نعتًا للثعلبِ .

وهذا مُستبعدٌ وغير مقبولٍ ، لأنَّ فيه تكلُّفًا ظاهرًا، ثمَّ ما فائدةُ القولِ بأنَّ هذا الثعلـبُ مُطِرَ بفَضلِ الله وهذا شيءٌ معروفٌ مُستـقِرٌّ عندَ الناسِ ! فهذا التأويلُ يُذهِبُ جمالَ البيتِ وبَهاءَه .

وزِد على ذلكَ أنَّ هذا اجتـهادٌ مِن الأستاذِ هارونَ في قِراءَتِها ، وقد يكونُ جانَبَ الصوابَ في ذلكَ ، وقد خالفَه الدكتورُ الخوليُّ فقرأَها كمـا رأيتَ ، وقِراءةُ الدكتورِ الخوليِّ أولى فيمـا أرى بالصوابِ ، والله تعالى أعلَمُ .

***

(الموضعُ السادس)

٨. بِقَــوائِــمٍ عُــوجٍ شَـمـا طِــيــطٍ وَهــادٍ رَعْـشَـنِي

هذا البيتُ أثبتَه الأستاذُ هارونَ كذا :

بِقوائِمٍ عُوجٍ شَمـا طيطٍ وهادٍ زاعِبِي

وأثبتَه الدكتورُ الخوليُّ كذا :

بِقوائِمٍ عُوجٍ شَمـا طيطٍ وهادورٍ عَيِي

أمَّا الأستاذُ هارونُ رحمه الله فقالَ في حاشيتِه : « الزَّاعبيُّ : الرُّمحُ ، منسوبٌ إلى رجلٍ من الخزرجِ يقالُ له : (زاعِبٌ) . وفي الأصلِ : (هاد رعيي) ، تَحريفٌ » اهـ

وقد أحسنَ الأستاذُ هارونُ رحمه الله في ذكرِه لفظَ المخطوطةِ ، وهو تَحريفٌ كما قالَ ، لكنْ ليسَ صوابُه : « زاعِبِيٌّ » كما أَثبتَ ، وهذا اجتهادٌ مِنه في توجيهِها .

أمَّا الدكتورُ الخوليُّ عفا اللهُ عنه فلم يذكُرْ رَسمَ المخطوطةِ ، واجتَهدَ في قراءتِها بما رأيتَ ، وكان ينبغي أن يشيرَ إلى ما جاءَ في المخطوطةِ أداءًا للأمانةِ .

وكِلا الاجتهادَين مِن الأستاذَين لـم يُؤدِّهما إلى الصوابِ .

فنقولُ أوَّلًا فيما أثبتَه الأستاذُ هارونُ : ما وَجْهُ نِسبةِ الهادي - وهو العُنقُ - إلى زاعبٍ رجلٍ من الخزرجِ ؟ فهذا إنَّما تنسبُ إليهِ الرِّماحُ لا أعناقُ الخيلِ !

فإن قالَ قائلٌ : هذا محمولٌ على تشبيهِ عُنقِ الفرسِ بالرُّمحِ ، قلتُ : أينَ وجدتَهم يشبِّهونَ عنقَ الفرسِ بالرُّمحِ ؟ أمَّا أنا فلا يَحضُرني شيءٌ مِن هذا .

وأقولُ : قد تُشبَّه هَواديها بالرِّمـاحِ في شيءٍ مِن هَيئاتِها ، كما قالَ الشَّمَّاخُ رضي الله

عنه في حَميرِ الوحشِ - وأعناقُها شبيهةٌ بأعناقِ الخيلِ - :

فَظَـلَّتْ تَفـالى بِاليَـفـاعِ كَأَنَّـهـا رِماحٌ نَحاها وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

فقد قيلَ فيه : إنَّه شبَّه أعـناقَها وهي مائـلةٌ برماحٍ مركوزةٍ مائـلةٍ في جهةِ الريحِ ، فهذا تشبيهٌ بها في هَيئتِها وميَلانِها . إذا نظرَ إليها الناظرُ مِن بعيدٍ ، شبَّه أعناقَها في ميَلانِها لجهةٍ واحدةٍ بهذه الرماحِ المائلةِ .

أمَّا تشبيهُ عنقِ الفرسِ بالرمحِ في ذاتِه فما أعرفُ مِنه الآنَ شيئًا ، واللهُ أعلَمُ .

ثمَّ نقولُ : إنَّ هذا اجتهادٌ مِن الأستاذِ هارونَ في قراءَتِها وليسَ شيئًا وجدَه في المخطوطةِ ، أمَّا الذي في كتابِ (الوحشيَّاتِ) فلم يذكُر الميمَنيُّ وشاكرٌ رحمهُما اللهُ أنَّ في المخطوطةِ غيرَ الذي أثبتاهُ .

وأمَّا الدكتورُ الخوليُّ فقالَ : « الهادورُ : الصوتُ بغيرِ شَقْشَقةٍ » اهـ

وقراءةُ الدكتورِ الخوليِّ أيضًا غيرُ صحيحةٍ ، والذي في المخطوطةِ كما قالَ الأستاذُ هارونُ : « وهاد رعيى » فأخذَ الدكتورُ الخوليُّ الراءَ مِن (رعيى) وجعلَها في الكلمةِ التي قبلَها فصارتْ (وهادر عيى) ثمَّ زادَ واوًا مِن عندِه فصارَتْ : (وهادورٍ عيي) ، ثمَّ فسَّرَ (الهادورَ) بما رأيتَ .

وهذا التفسيرُ مردودٌ أيضًا ، وهو مَبنيٌّ على قراءةٍ غيرِ صحيحةٍ ، لأنَّ الشاعرَ إنَّما يصفُ عَدْوَ الفرسِ ، فذكرَ قوائمَه ثمَّ ذكرَ عنقَه ، لأنَّ هذَين هما اللذان يَظهرُ أثرُهما في صورةِ عَدوِ الفرسِ ، وإذا نظرتَ إلى فرسٍ يَعدو مِن بعيدٍ لم يَجذبْ نظرَك إلَّا حركةُ قَوائمِه وهادِيه ، أمَّا الصوتُ فلا مَعنى لذكرِه هنا ، ولا يظهرُ في صورةِ عَدوِ الفرسِ .

على أنَّ ما أثبتَه الأستاذانِ لو كانَ له وَجهٌ ، ليسَ بأولى مِمَّا في كتابِ (الوحشيَّاتِ) لأمرَين :

١ . أنَّه اجتهادٌ مِنهما في قراءتِه كما ذكرْنا .

٢ . أنَّ ما في كتابِ (الوحشيَّاتِ) له وَجهٌ صحيحٌ ظاهرٌ ، سنُبيِّنُه – إن شاء اللهُ – .

و« رعيى » [الواردةُ في مخطوطةِ (البُرصانِ)] محرَّفةٌ مِن « رَعْشَنِي » وبينَهما تشابهٌ ظاهرٌ في الرَّسمِ ، والله أعلَمُ . فالصوابُ – إن شاء اللهُ – ما في كتابِ (الوحشيَّاتِ) ، وهو :

« ... وهادٍ رَعْشَنِي »

والهادي : العنقُ ، ورَعْشَنيّ : نِسبة إلى (رَعْشَن) ، وهو فَحلٌ مِن فُحولِ الخيلِ كأَعوجَ وذي العِقالِ وغيرِهما .

فنَسبَ هاديه إلى (رَعْشَن) ، كما يَنسبونَ بعضَ الخيلِ إلى أعوجَ فيقولونَ : فَرسٌ أَعوجيٌّ وخيلٌ أعوجيَّـةٌ .

فإن قيلَ : لم اقتصرَ في نِسبتِه إلى (رَعْشَن) على هاديه ولم يقُلْ : فرسٌ رَعْشَنِيٌّ ؟

قلتُ : قد لا يشبِهُ الفرسُ أباه في كلِّ شيءٍ وإنَّمـا يأخذُ مِنه أشياءَ ، وهذا مُشاهَدٌ معروفٌ في الخيلِ وغيرِها ، ويجوزُ أنَّ الفرسَ ليسَ مِن سُلالةِ هذا الفحلِ ، وإنَّما شبَّه عُنقَه بأعناقِ الخيلِ الرَّعْشَنِيَّـةِ .

فإن قيلَ : لم اختصَّ (رَعْشَن) مِن بينِ فُحولِ الخيلِ ، ولم يذكُر أَعوجَ وغرابًا وغيرَهما مع أنَّهما أشهرُ مِنه ؟

قلتُ : لأنَّ هذا الفَحلَ لـمَذحِجٍ ، ومحمَّدُ بنُ حمرانَ الجُعفيُّ مِن مَذحِجٍ ، فذكرَ الفحلَ المعروفَ عندَهم ، فيجوزُ أن يكونَ هذا الفرسُ مِن ولدِه حقيقةً ، ويجوزُ أن يكونَ أرادَ تشبيهَ عنقِه بأعناقِ الخيلِ الرَّعشنيَّـةِ المعروفةِ عندَهم وإن لم يكُنْ مِنها . قالَ ابنُ الأعرابيِّ في كتابِه المذكورِ : « قالَ سلمةُ بنُ يزيدَ الجُعفيُّ في فَحلٍ لهم يُقالُ له : (رَعْشَن) :

وَخَيـــلٍ قَدْ شَـهِـدْتُ بِرَعْـشَـنِيٍّ شَديدِ الأَسرِ يَسْبِقُ في الجراءِ » اهـ

وهذا الشاعرُ جُعْفيٌّ مِن قَومِ محمَّدِ بنِ حمرانَ .

وقالَ الصغانيُّ في (التكملةِ) : « رَعْشَن : فرسٌ كانَ لمرادٍ » اهـ

قلـتُ : مُرادٌ مِن مذحجٍ ، وجُعْفِيٌّ مِن مَذحِـجٍ ، فمـا خرجَ رَعشَن مِن مَذحِجٍ ، واللهُ أعلَمُ .

***

وأرجو بعدَ هذا أنْ أكونَ أصبتُ فيما كتبتُه ، فإنَّ هذه المواضعَ مَزلَّةُ أقدامٍ ومَضلَّةُ أفهامٍ ، وبالله تعالى التوفيقُ .

***

إبداعات أدبية

(مُسْتَلَّةٌ مِنْ حَلْقَةِ الأَدَبِ والأَخْبَارِ)

بوادر الإيعاد

للشَّاعر صالح العمري

يَعْجَـبُ النَّاسُ مِنْ هِجَـائِيَ لِلأَشْـ * ـرَارِ لا تَعْجَبُـوا فَقَـدْ بَانَ عُذْرِي

لَيْسَ مِن شِيمَتِي البَذَاءُ ولا الفُحْـ * ـشُ ولا البَـغْيُ واقْتِـــدَاحُ الشَّرِّ

بَلْ هُوَ الْحِلْـمُ والحَـيَـاءُ وقَـدْ يُعْـ * ـلَـمُ مِنِّي النَّدَى وَحُسْـنُ الْبِـشْرِ

غَـــيْرَ أنِّي إذَا أُسِيءَ إلَى الدِّيـ * ـنِ تَلَظَّـيْتُ كاضْـطِرَامِ الجَـمْرِ

فَلْيَـلُم مَن يَلُـومُ فِي هَذِهِ الْخُـطْـ * ـطَـةِ ، إنِّي لِظَـهْرِهَا مُعْـرَوْرِي

وَلَعَـمْـرِي لأَمْضِـيَنَّ عَلَى مَـا * كُنْـتُ فِيـهِ لأَمْضِـيَنَّ لَعَـمْرِي

قَـدْ أَنَخْـنَا رِكَابَـنَا وعَقَـلْنَا * فِي رِكَابِ التُّـقَـاةِ أَهْـلِ الْـبِرِّ

وَغَشِـيـنَا نَدِيَّـهُمْ لَيْـسَ فِـيهِ * غَـيْرُ دَرْسِ الْهُـدَى وَغَـيْرُ الذِّكْرِ

فَـوَدِدْنَـا إذَا جَلَـسْـنَا إلَيْـهِمْ * لَيْـلَةً أَنَّ نَجْـمَـهَا لا يَسْرِي

ما نُبَـــالِي وَقَدْ أنـارَتْ وُجُـوهُ الْـ * ـقَـوْمِ أنَّـا في غَـيْرِ لَيْلِ البَـدْرِ

ذَاكَ حَـتَّى إذَا الجِـهَـادُ دَعـانَـا * هَـشَّ لِلصَّـوْتِ كُلُّ طَالِـبِ أَجْرِ

فَفَـزِعْـنَـا إلى السِّـلاحِ وَثُـرْنَا * واسْتَـوَيْـنَا عَلَى ظُـهُورِ الظَّـهْرِ

نَنْـصُرُ اللهَ وَهْوَ يَنْـصُرُ مَـن وَا * لاهُ لَسْـنَا نَخِيـمُ دَونَ النَّـصْرِ

ذَاكَ مَـا دَأْبُـنَـا ودَأْبُ عِـبَـادِ اللَّـــــــهِ كَانُـوا عَلَى قَـدِيـمِ الدَّهْـرِ

مَـا رَمَـيْـنَـا بِسَهْـمِـنَا غَـيْرَ رَامٍ * قَـدْ رَمَـانَـا وَإنَّـهُ الْيَوْمَ يَـبْرِي

إنَّـمَا الْمِيسَـمُ الَّذِي نُوقِـدُ النَّـا * رَ عَلَـيْـهِ يُحْـمَى لِذَاتِ العُـزِّ

مَا ظَلَمْـنَـاهُمُ وَلا أَنْـصَـفُونا * وَتَـرُونَـا وَمَـا نُـفَـاتُ بِوِتْـرِ

نَطْلَبُ الذَّحْـلَ إنَّ مَن يَتْرُكُ الذَّحْـ * ـلَ رَهِـينٌ بِهِ لِبَـاسُ الصُّـغْرِ

رُبَّـمَا نَطْلُـبُ الذُّحُـولَ بِجَيْشٍ * تَهْـلِكُ البُـلْـقُ فِي نَـوَاحِـيهِ مَجْرِ

فاسْـأَلِ القَـوْمَ أَثَّـفُوا قِدْرَ حَـرْبٍ * هَلْ فَـثَـأْنَـا فُـوَارَ تِـلْكَ القِـدْرِ

هَل لَقِيـنَاهُـمُ بِـضَرْبٍ هُوَ الْهَـبْـ * ـرُ وَطَـعْـنٍ نَـتْرٍ وَرَمْيٍ سَـعْـرِ

هَل رَسَوْتُـمْ عَلَى الـثَّرَى وامْتَنَعْتُمْ * أَمْ طَـفَـوْتُـمْ عَلَى عُـبَـابِ البَحْرِ

فَانزِعُوا إِنْ خَشِيتُـمُ أَن تَكُونُـوا * جَزَرَ البِيـضِ والرِّمَـاحِ السُّـمْرِ

أَوَلَـمْ تَعْـلَمُوا بِمَـا نَـاوَأَ الإِسْـ * ـلامَ مِن قَبْلِكُمْ رُؤوسُ الكُفْرِ

وَلَكَمْ عَـذَّبُـوا بِـلالًا فَـمَـا لا * نَ بِـلالٌ وَلانَ عَـزْمُ الصَّـخْرِ

ثُـمَّ سَبْعِـينَ قَارِئًـا قَتَلُـوهُمْ * وأَحَـالُوا عَلَى حَـمِيِّ الدَّبْـرِ

وَدَوَالَيْـكَ كُلَّ يَـوْمٍ ودِيـنُ اللَّـهِ يَنـمِي والكُفْرُ كُفْرٌ يَجْرِي

فاسْـأَلُوا الرُّومَ رُومَ قَيْـصَرَ عَـنْهُ * هَلْ تَمَـلَّى بَعْـدَ الفُتُـوحِ بقَـصْرِ

واسْأَلُوا الفُرْسَ فُرْسَ كِسْرَى عَنِ الإِيـ * ـوَانِ هَـل لَاذَ مِـن ذَرَاهُ بكِسْرِ

واسْأَلُوا الصِّينَ وَاسْأَلُوا الهِنْدَ والسِّنْـ * ـدَ وَأَرْضَ الَّـتِي وَرَاءَ النَّـهْرِ

أَوَمَـا آنَ يا زَنَـادِيقُ أَن يُـقْـ * ـصِرَ قَـوْمٌ عَـنِ الخَـنَا والْهُـجْرِ

أَوَمَـا آنَ يَـا زَنَـادِيـقُ أَن تُـمْـ * ـسِكَ عَنْ هِـتْرِهَـا ذَوَاتُ الهِـتْرِ

أَوَمَـا آنَ أَن تَسِـيرُوا عَلَى الـلَّا * حِبِ قَـد طَالَ سَـيْرُكُمْ فِي الوَعْرِ

لا يَغُــرَّنَّكُمْ سُـكُـونُ رِجَـــالٍ * إنَّ تَحْـتَ الرَّمَـــادِ حَــرَّ الجَــمْرِ

والهِـزَبْرُ الضِّرْغَـامُ أَبْـأَسُ مَـا يُلْـ * ــقَى إذَا كَانَ مُخْـــدِرًا في الخِــدْرِ

وَكَأَنِّي بِالـرَّمْـــدِ جَـــلَّلَ أَقْـــوَا * مًـا أَرَاهُ مِنْـهُـمْ عَلَى قِيـسِ فِـــتْرِ

* * *

مُصارَمة

للشَّاعرِ محمَّد محمَّد مقران

صديقٌ قديمٌ ضمَّني وإيَّاه مجلسٌ ، فابتدأَ الحديثَ بتَمجيدِ بعضِ المغنِّين الذين تحتضنُهم أوربَّا ، وبعدَ كلامٍ طويلٍ وصلَ إلى أنَّ الكتابةَ العربيَّـةَ (صعبةٌ) ! ، ومَدعاةٌ إلى التَّصحيفِ ! والدَّليلُ على ذلكَ اختِلافُ القِراءاتِ القُرآنيَّـةِ !

وعلى أنِّي كنتُ قد نبَّهتُه على خطأِ هذا الرَّأيِ مِن قبلُ فقد أصرَّ وتمادى ، فقلتُ فيه القطعةَ الآتيةَ ، والبيتُ الأخيرُ [منها] لأبي علي الحسنِ بنِ عبدِ الله المعروفِ بلُغْدةَ الأصبهانيِّ [1] ، فهو تَضمينٌ ، [قلتُ] :

وخِـلٍّ لا يَــزالُ إذا الْـتَـقَـيـنـا * يَذيــمُ العُرْبَ إفْصـاحًـا ورَمْزَا

يَذيمُ العُرْبَ أَنْ صَدَعَتْ صَفاها * قَــوارِعُ إنَّـــهُ مَــنْ عَـزَّ بَـزَّا

---

(١) انظر : (معجَمَ الأُدباءِ : ٢\٨٧٥) .

إذا ذُكِـرَت لُـغَى التَّـنْزِيـلِ أَنْحَى * عَلى قُـرَّائِـهـا طَـعْـنًـا وَغَـمْـزَا

ويُطــرِي كلَّ صَـيَّـاحٍ رَقِـيــعٍ * يَبِــيتُ يَــؤُزُّهُ الشَّـيْــطانُ أَزَّا

صَرَمْـتُ حِبـالَهُ وَمَضَـيتُ لَـمَّا * جَرَتْ سِكِّـينُهُ في العَظْـمِ حَــزَّا

وَكُنْـتُ أُعِـدُّه لِلعُــرْبِ ذُخْــرًا * وَأَحْسَـبُـهُ لِـهَـذَا الدِّيـنِ حِـرْزَا

صَرَمْتُ حِبـالَهُ وَمَضَـيتُ فَـرْدًا * أُعَـزِّي فِـيـهِ قَلْـبًـا مُسْتَـفَــزَّا

(سَتَنْكُـتُ نادِمًا في الأَرْضِ مِنِّي * وتَعلَـمُ أنَّ رَأْيَـكَ كانَ عَجْـزَا)

* * *

﴿ وَكُن مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ ﴾

للشَّاعر أبي إبراهيم رضوان بن محمد

أَيَـا مَـنْ بَـاتَ فِي تَـرَفٍ * مِـنَ النَّـعـمَـاءِ فِي غَـرَفِ
رَجَـاؤُكَ فِي اسْتِـدَامَـتِـهَا * وَخَـوْفُـكَ زَوْرَةُ الأَزَفِ
رَأَيْتُ الشُّكـرَ يَـحْفَـظُـهَا * وَيَمْـنَـعُـهَـا مِـن التَّـلَفِ
إِذَا أَصْبَـحْـتَ أَوْ أَمْسَـيْـ * ـتَ فِي سَـعَـةٍ وَفِي خَـلَفِ
فَـقُـلْ يَـا رَبُّ زِدْنِـي مِـنْ * مَعِـينِ الفَـضْـلِ وَاغْـتَرِفِ
وَلَا تَـغْـرُرْكَ فَـانِـيَـةٌ * سَـتَـتْرُكُـهَا إِلَى الـجَـدَفِ
وَإِنْ أَرْدَاكَ مَـا أَطْـغَـا * كَ مَـا أَغْـنَـاكَ « وَا أَسَفِي »
فَـلَا تَـفْـرَحْ وَلَا تَـبْـطَـرْ * وَحَـاذِرْ سَـوْءَةَ الـجَـنَـفِ
وَحَـظَّ النَّـفْـسِ لَا تَـنْـسَهْ * مِـنَ الدُّنْـيَـا بِـلَا سَـرَفِ
وَأَحْسِـنْ لِلْـعِـبَـادِ كَـمَـا * حَـبَـاكَ الـرَّبُّ بِالـشَّـرَفِ

وَمَـن يُحْـسِـنْ لَـدَى السَّرَّا * ءِ فِي الضَّـــرَّاءِ لَـمْ يَـخَـفِ

وَشُكْـرُكَ نِـعْـمَـةَ الـمَـوْلَى * قِـيامُكَ في دُجَى السَّـــدَفِ

وَهَجْـرُكَ زُخْـــرُفَ الدُّنْـيَـا * رَجَـاءَ الـخُـلْدِ فِي الغُـرَفِ

وَشُكْـرُكَ رَبَّـكَ النَّـعْـــمَـا * بِـنِعْـمَـتِـهِ فَـكَيفَ تَفِي ؟!

* * *

صَمَمُ الحياءِ وخَرَسُ العفَّةِ

لا يَجرؤُ رجلٌ على أن يَلجَ بابَ امرأةٍ قد أَوصدَتْه ، ولكنَّه يستطيعُ أن يتسلَّلَ إليها مِنه إذا هيَ وارَبَتْه ، فمتى وجدتَ رجلًا يأكلُ مِن مائدةِ امرأةٍ ، فاعلَمْ أنَّها هي التي قد دَعتْه ، أو رأى مِنها مَستورًا فهي التي قد كَشفَتْه ، أو انتزَعَ مِنها ثمينًا فهي التي قد أَرخصَتْه ، أو دنَّسَ مِنها طاهِرًا فهي التي قد لوَّثَتْه .

ولقد رأيتُ بعَيني وسمعتُ بأُذني شابًّا قد أقبلَ على فتاةٍ قد أعجبَتْه ، يُلقي على مَسامعِها كلماتِ الإعجابِ والغَزَلِ المعسولةِ ، كلماتٍ لها تأثيرُ السِّحرِ على الأُنثى ، فما ردَّت عليهِ ، ولا الْتفتَتْ إليهِ .

فلمَّا يَئِسَ الفتى مِن وِصالِها ، وانقطعَ أملُه في وِدادِها ، ولَّى عنها مُدبِرًا ، يُتمْتِمُ بكلماتٍ قد أفصحَتْ عن يَقينِه بأنَّ هذه الفتاةَ قد ابتُلِيَتْ في سَمْعِها ولِسانِها ، وما بِها مِن صَمَمٍ أو خَرَسٍ ؛ ولكنَّه صَممُ الحياءِ ، وخَرَسُ العِفَّةِ ، فاستَحْسَنْتُ مِن تلكَ الفتاةِ صنيعَها .

❊ ❊ ❊

حوار الملتقى للأستاذ منصور مهران

(مُسْتَلٌّ مِنْ مُضْطَجَعِ أَهْلِ اللُّغَةِ)

حِوارُ الملتقَى
للأُستاذِ مَنصور مهرَان

حَفظهُ اللهُ تَعالَى

الأستاذُ منصور مهران حفظه الله تعالَى عالمٌ جليلٌ ، وقارئٌ نِهِمٌ ، نذرَ نفسَه للعلمِ ، وجعلَه دأبَه ، وهجِّيراه . وقد لقِيَ صدورَ العلماء السَّالفين ، وأعيانَهم ، وخالطَهم ، واختُصَّ بمعرفةِ أخبارِهم ، ونوادرِهم ، كالعلَّامةِ محمود شاكر ، والسيِّد صقر ، والطناحيِّ ، وغيرِهم . وهو بحرٌ لا يُؤبَى في معرفةِ طبعاتِ الكُتُبِ ، والفَصْلِ بينَها . وله نَفاذٌ في النَّحوِ خاصَّة ، وعلومِ العربيَّة عامَّة . ولديه مكتبةٌ ضخمةٌ تحوي نفائسَ الكتبِ ، وحَرائزَها . وهو بعدُ رجلٌ شديدُ التَّواضعِ ، سهلُ الخُلُقِ ، مُوَطَّأُ الأكنافِ ، لا يَضَنُّ بعِلْمِه ، ولا يحجبُه عن طالبِه .

وقد تشرَّفَ (ملتقَى أهلِ اللُّغةِ) بمُحاورَتِه في مسائلَ من التُّراثِ ، والعربيَّةِ ، ويسرُّنا أن ننشرَ في هذا العددِ من مجلَّةِ الملتقَى مختاراتٍ من الأسئلةِ الَّتي تضمَّنَها الحوارُ ، راجينَ من الله تعالَى أن ينفعَ بإجاباتِه القيِّمةِ .

* * *

* السيرةُ الذاتيَّة *

- **هل تذكرُ لنا سيرتَك الذَّاتيَّة بإيجازٍ ؟**

رُبَّمـا كان أهمَّ ما يُريدُه القارئُ مِن سيرتي هو تاريخُ مَوْلِدي ، وتاريخُ تخرُّجي في الجامعةِ :

قد وُلدتُ في الثَّالثِ والعِشْرين مِن شهرِ رمضانَ سنةَ ١٣٦٥ = ٢٠ / ٨ / ١٩٤٦م .

وتخرَّجتُ في كليَّةِ اللُّغةِ العربيَّة بجامعةِ الأزهرِ سنة ١٩٦٩ م . ونلتُ درجةَ الـمـاجستير سنةَ ١٩٧٥م . وكانت الدِّراسةُ لها تبدأ بسَنَتَيْنِ دِراسيَّتَيْنِ ، ثُمَّ يكونُ بحثٌ تكميليٌّ لا يقلُّ عن مِائةِ صفحةٍ ، فاخترتُ (معاني اللَّاماتِ في ديوانِ الـمُفَضَّلِيَّاتِ) .

* * *

* مَعَ خَيرِ جَليسٍ *

- **« وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابُ » كلمةٌ سائرةٌ قالَها المتنبِّي في الكتابِ ، فمـاذا يُمثِّلُ الكتابُ في حياةِ الأستاذِ منصور مهران ؟**

يُمثِّلُ الكتابُ عندي (الحبَّ الأوَّلَ والأخيرَ) ، فلم يَدَعْ عِشقُ الكتابِ في قلبي عشقًا لامرأةٍ قطُّ .

- **ما الكتابُ أو الكُتُب الَّتي لا تعدِلُ بها شيئًا ؟**

القرآنُ الكريمُ .

- **ما الكتابُ الَّذي لا يُفارِقُك ، وتَجِدُ نَفْسَكَ دائمَ الرُّجوعِ إليه ؟**

(تاج العروسِ) للزَّبيديِّ .

- **ما أبرزُ الكتبِ الَّتي قرأتَها أكثرَ مِن مرَّةٍ ؟**

(لسـانُ العربِ) قرأتُه بمَـشُورةِ الشَّيخِ الجليلِ محمود شاكر سنةَ ١٩٧٤ وما بعدَها ، ثُمَّ في سنتيْ ١٩٧٨ و ١٩٧٩ ، ثُـمَّ شرعتُ في قراءتِـه للمرَّةِ الثَّـالثةِ ، فامتدَّتْ سَنَواتٍ طويلةً مِنْ أثرِ المشغلةِ الَّتي لقيتُها بعدَ الزَّواجِ .

ولَـمَّا تَمَّتْ طبعةُ الكُوَيْتِ لـ (تاجِ العَروسِ) امتلكتُ منه نسخةً في القاهرةِ ، وأُخْرَى بالرِّياضِ ، فلا يكاد يمرُّ يومٌ بغير نظرٍ فيهِ ، وإلى اليوم ، والحمدُ لله .

- **تختلِفُ طرائقُ النَّاسِ في القراءةِ ، فكيفَ طريقتُكَ ؟ هل تُقيِّدُ الفوائدَ ؟ وأينَ ؟ وهل تُعَلِّق في حواشي الكتابِ ؟**

قراءتي كقراءةِ الطُّلَّاب : لا بُدَّ مِن مكتبٍ أمامي ، وقَلَمِ رصاصٍ في يميني ، أُسجِّل به الفوائدَ على الورقةِ البيضاءِ بين الغلافِ والكتابِ ، والتصحيحُ والتعليقُ يكونُ في الحواشي عندَ كُلِّ مَوْضِعِ مُلاحَظةٍ .

- **ما الكُتُبُ الَّتي أحدثَتْ فيكَ أثرًا بالغًا ، وأسهمَتْ في تكوينِكَ الفِكْرِيِّ ؟**

هي كثيرةٌ جِدًّا ، ورُبَّما كانَتْ مؤَلَّفاتُ العَقَّادِ ، وزكي نجيب محمود لها نصيبٌ وافِرٌ .

❊ ❊ ❊

* مع الشَّيخِ محمود شاكر *

- **كيفَ عرفتَ الطَّريقَ إلى مجلسِ محمود شاكر ؟**

كنتُ بعدَ استقراري بالقاهرةِ سنةَ ١٩٦٠ عرفتُ أحدَ رُوَّادِ ندوةِ العقَّادِ : هو الأُستاذُ أحمد حمدي إمام ، وكان طالبًا في دارِ العلومِ ، وكانَ يألفُ مَن يلقاه بأريحيَّة عجيبةٍ ، فنشأَتْ بينَنا صداقةٌ لشَبَهٍ يجمعُنا في حُبِّ الكتابِ ، وحُبِّ القراءةِ ، والشَّغَفِ بكُلِّ جديدٍ ، والتعرُّفِ إلى رجالاتِ العلمِ والأدبِ ، فكُنَّا نتجوَّل في مكتباتِ القاهرةِ كثيرًا .

وذاتَ يَوْمٍ مررْنا على دار العروبةِ الكائنةِ في شارعِ الجمهوريَّة ، وكانَتْ لا تزالُ بأيدي أصحابِها (محمود شاكر ، وإسماعيل عبيد) ، فدخلْنا نتأمَّلُ منشوراتِها المميَّزةَ بجودةِ الطِّباعةِ ، وأناقةِ الوَرَقِ ، والأغلفةِ ، فضلًا علَى عظمةِ العِلْمِ الَّذي تحويه إصداراتُها ، فوجدنا رجلًا أسمرَ تبدو عليه أماراتٌ تُوقِعُ في نفسِ الرَّائي احترامَه ، فسَلَّمْنا ، ووقَفْنا نتأمَّلُ الكتبَ ، ونتأمَّلُ الرَّجُلَ ، فسمِعْنا مَن يُحَدِّثُه ، ويَذْكُرُ اسْمَهُ ، فعرَفْنا وَجْهَهُ لأوَّلِ مَرَّةٍ بعدَ أن عرفْنا قَلَمَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وبادَرْنا إلى تحيَّتِه ، وذَكَرْنا لَهُ ما أرادَ مِنَّا مِنَ الاسمِ ، ومكانِ الدِّراسةِ ، ونوعِ ما نقرأ ، وأهمُّ من ذلك بلادُنا ،

وانتسابنا إلى بحريٍّ أو قِبليٍّ (يعني : مَن مِنَّا الفلَّاحُ ، ومَن منَّا الصَّعيديُّ) ، وشاهدتُه بعد ذلك مُنفرِدًا في مكتباتِ القاهرةِ ، ولا يزيدُ الأمرُ علَى السَّلامِ عندَ كُلِّ لقاءٍ .

وبعدَ وفاةِ الأستاذِ عبَّاس محمود العقَّاد سنة ١٩٦٤ كُنَّا نلتقي كالعَهدِ الأوَّلِ في بيتِه ، فنَتداوَلُ الذِّكرياتِ عَمَّا سَمِعْنا ، وعَمَّا لم نَسْمَعْ مِن كلامِ العقَّادِ ، يتصدَّرُ القولَ كلٌّ مِن : طاهر الجبلاوي ، وعلي أدهم ، والعوضي الوكيل ، وخليفة التُّونسي ، وأحمد إبراهيم الشَّريف ، ويُشاركُ في الحديثِ كاتبُ هذه السُّطورِ ، وأحمد حمدي إمام ، والحساني حسن عبد الله ، ومحمود الشهابي ، وأنيس منصور ، وأخونا عامر العقاد رحمهم الله .

وعَرَضَ أحدُ الجالسينَ لعلاقةٍ بين العقَّادِ ومحمود شاكر تختلفُ عن علاقتِه بأحمد شاكر ، فنبتَتْ فكرةُ زيارةِ محمود شاكر ، فالتقينا بعدَ العِشاء ، وكُنَّا خمسةً فقط ، واتَّجَهْنا لزيارةِ الشَّيخِ محمود شاكر في منزله رقم ٣ شارع الشَّيخ حسين المرصفي بمصرَ الجديدةِ ، وارتقينا إلى الطَّبقةِ الرَّابعةِ ، فاستقبلَنا الشَّيخُ بحفاوةٍ ، وتقديرٍ ، وسأل الأسئلةَ الـمعهودةَ : الاسم ، والدِّراسة ، والعمل ، والسُّكنَى ، ونوع القراءة ، و و و ... ، وتفضَّلَتْ زوجتُه أمُّ فهرٍ بتقديمِ الشَّاي ، والحلوَى ، وغيرِ ذلك ، ثمَّ لزمتُ مجالسَه حتَّى وفاته رَحِمَهُ اللهُ .

- **وكيف كانَ تصوُّركَ عنه قبلَ لقائِه ؟**

يومَ رأيتُه أوَّلَ مَرَّةٍ في مكتبةِ دارِ العُروبةِ وجدتُ راحةً نَفسيَّةً لحديثِه المُقتَضَبِ ، وكنتُ في كلِّ لقاءٍ أتمنَّى أنْ أقرأَ عليه شيئًا مِن العِلْمِ ، ولَـمْ يَتيَسَّرِ القُرْبُ مِنه إلَّا بَعْدَ وَفاةِ العقَّادِ في ذلك اللِّقاءِ التَّاريخيِّ الجَميلِ .

- **وهل كانَ يومَئذٍ بهذه الشُّهْرةِ والمكانةِ ؟**

الحقيقةُ أنَّ الرَّجُلَ كان معروفًا بكُتُبِهِ ، وأهمُّها كتابُ (المتنبِّي) الَّذي صدرَ أوَّلَ مرَّةٍ سنةَ ١٩٣٦ في عددٍ من أعداد (الـمقتطفِ) ، وكان الكتابُ شَحيحًا ، فلا تكادُ تـجدُ منه نسخةً لدَى باعةِ الكتبِ القديمةِ ؛ لأنَّ بائعي الـمَجـلَّات لا يبيـعونَ عـددَ (المقتطفِ) منفرِدًا ؛ لئلَّا تفسدَ عليهم مجموعة أعدادِ المجلَّة ، فالطَّلبُ لها يتزايَدُ ، لذلك يحرِصون على عددِ (المتنبِّي) لاستكمـالِ نسخةٍ كاملةٍ من المجلَّة ، فالرِّبحُ منها كبيرٌ ، والرِّبحُ من عددٍ واحدٍ لا يكادُ يكون مرغوبًا فيه .

وكنَّا في أثناءِ الطَّلبِ نسمعُ مُعَلِّمينا يذكرونَ أسماءَ آلِ شاكرٍ ، ويحثُّونَنا على قراءةِ مؤلَّفاتِهم ، وتحقيقاتِهم ، وقد امتلكتُ سنةَ ١٩٦٠ نسخةً من كتابِه (طَبقاتِ فُحولِ الشُّعراء) الطبعة الأُولى الصَّـادرة ضِمنَ (سلسلةِ ذخائرِ العربِ) من مطبوعاتِ دارِ

المعارفِ بمصرَ ؛ وذلك بتوجيهٍ جرَى في ندوةِ العقَّاد ، فاسمٌ كهذا يذكرُه العقَّادُ لا بُدَّ أن يكونَ على مكانةٍ وشهرةٍ كبيرتَيْنِ .

- **كيف كانَت تسيرُ جلساتُكم عندَ الشَّيخِ محمود شاكر ؟ وهل كانَ لكم برنامجٌ مُعَيَّنٌ ؟**

ليس هناكَ برنامجٌ مُعَيَّنٌ ، والشيخُ رَحِمَهُ اللهُ يتناولُ في جلستِه موضوعاتٍ شتَّى ، وحسبَ أهميَّة الموضوعِ يتَّسِعُ له الوَقْتُ ، وأهمُّ ما يكونُ من حديثٍ حديثُ الكتبِ : ما صدرَ منها حديثًا ، واسم المحقِّق أو المؤلف ، ودرجته العلميَّة ، وقيمة عملِه في منظومةِ الكتبِ ، والكتب التي تدورُ حولَ موضوعٍ واحدٍ ، والأفضل منها ، والنُّصح باقتناءِ طبعةٍ معيَّنة إذا تعدَّدت الطبعاتُ ، ونحو ذلك . ونادرًا ما تُغلَقُ الجلسةُ علَى موضوعٍ واحدٍ .

- **يُذكر أنَّ الشيخ شاكرًا كان حادَّ الطَّبعِ ، مُتقلِّب المِزاجِ ، فهل كان حقًّا كذلك ؟**

نعم ، كان حادَّ الطَّبْعِ ، ولكنَّ حِدَّتَه أكثر ما تكونُ على مُعْوَجِّ الأفكارِ ، وعلى كُلِّ طَعْنٍ في هذه الأُمَّةِ ، ودينِها ، وعلى الأخلاقِ الفاسدةِ ، وعلى المبادئِ الهدَّامةِ .

أمَّا تقلُّبُ المزاجِ فقولٌ يحتاجُ إلى تحديدٍ حتَّى يُمكنَ التَّعليقُ عليه .

- **هل تذكرونَ لنا بعضَ مواقفِكم الَّتي لا تُنسى معَ الشَّيخِ شاكر ؟**

موقفٌ واحدٌ يُغني في البيانِ : حدثَ مَرَّةً أن تَحَدَّثَ عن جمال عبد النَّاصر بحديثٍ قاسٍ ، فقلتُ : سمعتُ عامرًا العقَّاد يقولُ شيئًا مِن ذلك نقلًا عن كتابٍ لأحمد حمروش ، فأرسلني فورًا لشراءِ الكتابِ ، ولَـمَّـا رجعتُ إليه بالكتابِ ، وجدتُ الزُّوَّارَ قد انصَرفوا ، فسلَّمتُه الكتابَ ، وانصرفْتُ ، وفي تمامِ السَّاعة السَّادسةِ والنِّصف صباحًا اتَّصلَ بي ، وعنَّفَني تعنيفًا شديدًا ، فقد سَهِرَ لقراءةِ الكتابِ كُلِّه ، ولـم يَجِدْ فيه ما أخبرتُه عنه أمسِ ، وكانَ مِـمَّـا قالَ : لِـمَ لا تتثبَّتُ مِنَ النَّقْلِ قبلَ الإخْبارِ ؟ ولِـمَ لَـمْ تتحقَّقْ مِن صِحَّةِ الـخَـبَرِ ؟ ولِـمَ تتسرَّعُ بالقَوْلِ وأنتَ جاهلٌ بالأمْرِ ، ولِـمَ ولِـمَ ولِـمَ ؟؟؟ حتَّى قلتُ : لَيْتَه سَكَتَ !

ولم يكنْ هذا التَّعنيفُ لشهوةِ العنفِ ، بل كانَ تأديبًا له في نفسي عظيمُ الأثرِ ، وتجدُني آخذُ أبنائي بهذا التَّأديبِ ، ولو وجدوه من بابِ القسوةِ ، لعلَّهم يترحَّمون عليَّ إذا نفعَهم هذا التأديبُ يومًا ما .

- **وهل كان سريعَ الاستحضارِ لِـما في بُطونِ الكُتُبِ ؟**

لقد كانَ آيةً في الحِفْظِ ، وآيةً في الاستحضارِ رَحِمَهُ اللهُ .

- **مَن لقِيتَ مِنَ الأعلامِ في مجلسِه ؟**

لقيتُ الأستاذَ أحـمدَ بنَ محمَّد المانع ، الرَّجل الَّذي صحبَ محمودًا خـمسين سنةً ، والأستاذ محمَّد رشاد عبد الـمطلب ، والدكتور عبد الله الطيِّب ، والدكتور أحمد إسمـاعيل البيلي ، والدكتور ناصر الدِّين الأسد ، والدكتور إحسان عبَّاس ، والدكتور محمود محـمد الطناحي ، والدكتور محـمَّد محـمَّد أبو موسى ، والدكتور محمَّد إبراهيم البنَّـا ، والأُستاذ محمَّد أبو الفضل إبراهيم ، والأُستاذ فتحي رضوان ، والأُستـاذ يحيَى حقِّي ، والأُستـاذ الشاعر صلاح عبد الصَّبور ، والفنَّـان محمود مرسي ... وغيرهم كثير .

ولقِيتُ أبناءَ أخيه : عبد الرَّحمن علي شاكر ، والمهندس زُهير علي شاكر ، والأُستاذ علي ذو الفقار علي شاكر .

والعذر ليس في الإهمالِ ، ولكنَّه في النِّسيان .

- **كيف كان الشَّيخُ يُعامِلُ ضُيوفَهُ ، وطُلَّابَهُ ؟**

الشيخُ كريمٌ جِدًّا ، وحفاوتُه بكُلِّ مَن دَخَلَ بَيْتَه كبيرةٌ ، يذكرُها كلُّ مَن يعرِفُه ، وكانَ حانِيًا على طُلَّابِهِ وكأنَّهُم بَنُوهُ .

- **ذكرَ غيرُ واحدٍ أن الشَّيخ شاكرًا كان يُتابع المسلسلاتِ ، ومبارياتِ كُرةِ القَدَمِ ، فهل هذا صحيحٌ ؟**

صحيحٌ ، ولكن احذَرْ من المبالغةِ ، فقد يُشاهِدُ شيئًا مجاملةً لأسرتِه وضيوفِه ، ولقد شهدتُّه زمنًا طويلًا لا يُحَرِّكُ مفتاحَ التلفازِ ، ولا تعجَبْ ، فالنَّفْس الإنسانيَّة تنزعُ إلى التَّرويحِ ولاسيَّما أوقات الشَّدائدِ . وما أكثرَ ما لَقِيَ هذا الرَّجُلُ مِنَ العَنَتِ ، والشِّدَّةِ !

***

* بعضُ مَن لَقِيَ مِنَ العُلماءِ والمحقِّقينَ *

- **هل كانَ لكم اتِّصالٌ بالشَّيخِ عضيمة رَحِمَه اللهُ ؟**

الشَّيخُ الجليلُ محمَّد عبد الخالق عضيمة شيخي في كليَّةِ اللُّغة العربيَّة مُدَّةَ عامٍ وبَعْضِ عامٍ . ولقِيتُه مرَّاتٍ قليلةً في بيت الشَّيخِ محمود محمَّد شاكر ، ثُمَّ لقِيتُه كثيرًا في الرِّياضِ . وكان رَحِمَهُ اللهُ جادًّا في جميع شأنِه ، فلم أرَهُ يُفَرِّطُ في الثَّواني بَلْهَ الدَّقائق .

- **هل كانَ لك علاقةٌ بالنَّفَّاخِ ؟**

رأيتُ الأستاذَ أحـمد راتب النَّفَّاخ مرَّتين ، أو ثلاثًا ، إحداها في بَيْتِ الشَّيخ شاكرٍ ، ولم أجرُؤْ علَى الحديثِ معه ؛ لأنَّه كان يتدفَّقُ في الحديثِ ، فحَرَصْتُ على الاستماعِ ، وكفَى بذلك غُنْمًا .

- **وهَلْ تَعْرِفُ شيئًا من أخبارِه ؟**

كلُّ ما أعرفُه عنه ممَّا سمعتُه من الشَّيخِ محمود شاكر ، ومن أخي وصديقي علي شاكر ، ومِن محمود الطناحيِّ ، ومِن غيرِهم ، وممَّا قرأتُه عنه يجعلُني كسائرِ طُلَّابِه نتفاوَتُ في مقدارِ عِلْمِنا عنه ، ولا نُدْرِكُ حقيقةَ مكانتِه .

- **وكيف كانَ رأيُ الشَّيخِ شاكرٍ فيه ؟**

حَسْبُكَ أنَّ الشَّيخَ محمودًا يَصِفُ النفَّاخَ بأنَّهُ تلميذُ شاكرٍ ، ثُمَّ أُستاذُهُ .

- **وهل تنصحُ بجَمْعِ مَقالاتِهِ ؟**

جَمْعُ مقالاتِه أمنيةٌ مِنْ أمانِيَّ ، ولقد هممتُ بهذا ، غَيرَ أنِّي لَـم أجِدْ مُتَّسَعًا من الوَقتِ للجَمعِ ، والتَّعليقِ .

- **أنتم تُقيمون بالرِّياضِ مِن مدَّةٍ طويـلة ، فهل كانَ لكـم اتِّصالٌ بالشَّيخِ حـمدٍ الـجاسرِ ؟**

اتِّصالي بالشَّيخِ حمدٍ الجاسرِ قديمٌ ، فقبلَ مجيئي إلى المملكةِ تعارفْنا في بيتِ الشَّيخِ محمود شاكر ، والتقيتُه في القاهرةِ عشَراتِ المرَّاتِ ، ومِن بعدِ مجيئي كنتُ دائمًا في ندوتِه ، وآخر مرَّة رأيتُه فيها كان يرقدُ في مستشفى قُوَى الأمنِ بالرِّياضِ .

- **وهل تذكُرون لنا شيئًا مِن لقاءاتِكم به ، وشيئًا مِن مواقفِكم وأخبارِكم معه ؟**

الإجابةُ عن هذا تحتاجُ إلَى سيلٍ مِنَ الذِّكريات ، غيرَ أنِّي شهدتُ مُحاولتَه استردادَ مخطوطةِ (جمهرة نَسَبِ قُرَيْشٍ) للزُّبـيرِ بنِ بَكَّارٍ ، الَّتي حقَّقَ محمود شاكر نصـفَها قبلَ

نصفِ قَرْنٍ تقريبًا ، ووجدَ صعوبةً في مُفاوضةِ أسرةِ شاكر ، وربَّما انفعلَ انفعالًا شديدًا ، حتَّى كان المقرَّبون مِنه يخشَوْنَ عليه سُوءَ العاقبةِ مِنْ آلامِ الحِدَّةِ البالغةِ ، ثُمَّ استعانَ بالصَّديقِ المشترك الأستاذِ أحمد بن محمَّد بن مانع رحمة الله عليه ، وبعدَ لَأْيٍ استردَّ المخطوطةَ ، فشرعَ مِن يَوْمِهِ في التَّحقيقِ . وكنتُ أُحاوِلُ أن أُفيدَ منه ، فكنتُ آخُذُ صورةَ وَرَقةٍ أو ورقتَيْنِ مِنَ المنسوخِ ، فأجتهدُ في قراءتِها ، والتَّعليقِ عليها ، ثمَّ أعرضُ ذلك علَى الشَّيخِ ، فيأخذُ ما يأخذُ ، ويُشجِّعُني بمزيدٍ مِنَ التَّأمُّلِ في الكتابِ ، حتَّى تَمَّ – بحمدِ الله – ، وظهرَ للقُرَّاءِ لأوَّلِ مَرَّةٍ تامَّ التَّحقيقِ .

***

* رأيُه في بعضِ المحقِّقينَ وتحقيقاتِهم *

- **مَن أعظمُ المحقِّقينَ الأموات في رأيِك ؟**

مع أنِّي لا أُحِبُّ الإطلاقَ في التَّفضيل ، ولكنِّي أرَى أنَّ مِنْ أفضلِ المُحقِّقينَ في فُنونِ المعرفةِ كُلًّا في فَنِّهِ : أحمد زكي باشا ، وأحمد محمَّد شاكر ، ومحمود محمَّد شاكر ، ومحمَّد كرد علي ، وسامي الدهان ، وعبد السَّلام محمَّد هارون ، وإحسان عبَّاس ، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم ، ومحمود الطناحي ... وفي كلِّ رَفٍّ من رُفوفِ مكتبتي اسمٌ كبيرٌ من أسماءِ هؤلاء رحمهم اللهُ ، وجزاهم الخيرَ كُلَّه .

- **ومَن أعظمُهم مِنَ الأحياء ؟**

أذكرُ أخي الدكتور محمَّدًا الدالي ، وعبد الإله نبهان ، والنبوي عبد الواحد شعلان ، وعادل سليمان جمال ، وخالد عبد الكريم جمعة ، ومحمَّد عوامة ... وغيرهم أمدَّ اللهُ في أعمارِهم .

- **ما رأيُكَ في تحقيقاتِ الدكتور عادل جمال ؟**

الدكتور عادل سليمـان جمـال محقِّقٌ ومدقِّقٌ ، ومعرفتي بأعمـالِه العلميَّةِ تجعلُني

أشهدُ له بطولِ الباعِ . وقد انتفعَ كثيرًا بتوجيهاتِ محمود شاكر ، وبمكتبتِه العامرةِ بالكُتُبِ ، والتَّعليقاتِ الَّتي تُتَوِّجُها .

- **يدَّعي الدكتور رمضان عبد التَّـوَّاب في بعضِ تحقيقـاتِه أنَّه رأسُ مدرسـةٍ سمَّـاها (المدرسةَ الرَّمضانيَّةَ) ، فهل لهذه المدرسةِ وجودٌ ؟ وما رأيُكَ في إطالتِه لمقدِّماتِ الكتبِ الَّتي يُحَقِّقُها ؟**

جميعُ مَن عرفتُهم مِنَ المحقِّقين يرَى لنفسِه منهجًا خاصًّا ، ويسمِّي منهجَه مدرسةً ، والمتأمِّلُ في الكتبِ المُحقَّقةِ يُوقِنُ أنَّها جميعها تنحدرُ من بابةٍ واحدةٍ هي إتقانُ قراءةِ الأصلِ ، وحسنُ فهمِه ، وتصحيحُه ، وتخريجُ نُصوصِه ، وبغير هذا لا يُسمَّى العمَـلُ تـحقيقًا ، وتأتي التَّعليقـاتُ والشُّروحُ من بـابِ التزيُّـدِ ، والتَّجميلِ ، والتَّوضيحِ .

وكان الصَّديقُ المحقِّق الشَّاعرُ الأُستاذ حسن كامل الصيرفيُّ يرَى عملَه فريدًا في بابِه ، قد يُشكِّلُ نواةَ مدرسةٍ تُسَمَّى (مدرسةَ التَّوضيحِ) ؛ لأنَّه يحتفلُ بكُلِّ ما يخدمُ النَّصَّ ويُوضِّحُه إيضاحًا يكشِفُ أعماقَه ، ومع ذلك لم يَدَّعِ لنفسِه مدرسةً يختصُّ بها ، ومثلُه كان صنيعُ الشَّيخِ عضيمةَ في تحقيقِ (المقتَضبِ) .

والَّذي دعا الدكتور رمضان أن يتصوَّرَ هذا التصوُّرَ هو حشدُ مصادرِ تخريجِ النُّصوصِ ، حتَّى كأنَّك تقرأ مكتبتَه كاملةً عند كلِّ تخريجٍ ، ولا أراها طريقةً فريدةً في بابِها ، فقد سبقَ إليها بعضُ المستشرقينَ ، وجرَى على نهجِها آخَرونَ ، فليستْ مدرسة الدكتور رمضان وهو رائدها وحده ، بل الدكتور رمضان واحدٌ من أبنائها لا أكثر .

واعترافًا بالحقِّ فإنَّ المقدِّماتِ الطَّويلةَ الَّتي يُقَدِّم بها الدكتور رمضان محقَّقاته تُعَدُّ مفاتيحَ لفهمِ النُّصوصِ المحقَّقة بقلمِه ، وأنا شخصيًّا أسعدُ كثيرًا بقراءةِ هذا النَّمَطِ مِنَ المقدِّماتِ .

- **ما رأيكم في بعضِ المحقِّقين الَّذين يحشرونَ في مقدِّماتِ الكتبِ سِيَرَهم الذاتيَّة ، ومذكَّراتهم ممَّا لا يعني القارئَ بشيءٍ ، كما يفعل الدكتور النَّبوي شعلان ؟**

لقد فعل الـمؤلِّفون نحوًا من هذا ، فصارت كتابـاتُهم مصدرًا لـتراجمِهم بعدَ مـمـاتِهم ، والمحقِّقون والمؤلِّفونَ سواءٌ .

❊ ❊ ❊

* في خدمةِ التُّراث *

- **هَلْ تَرَى أنَّ تُراثَ الفارِسيِّ ، وابنِ جِنِّي ، وعلمَهما خُدِم مِن قِبَلِ الباحثينَ ، أَوْ يحتاجُ إلى خدمةٍ تَبْقُرُ وتُنَقِّبُ عن الإبداعِ النَّحويِّ واللُّغَويِّ في تراثِهما ، كما فعَلَ الشيخُ محمود شاكر رَحِمَهُ اللهُ ، وغيرُه مع الجرجانيِّ ؟**

نعم أرَى ذلك ؛ وكانَ بعضُ مشايخِنا يُلَقِّنُنا مسائلَ لأبي عليٍّ الفارسيِّ بشَرْحٍ وتفسيرٍ ما سمعنا بمثلِه مِنْ أحَدٍ قبلَه ولا بعدَه .

وكان شيخُنا شاكرٌ يتفنَّنُ في قراءةِ كلامِ ابنِ جِنِّي والتَّعليقِ عليه بشيءٍ عَجَبٍ ، حتَّى رأينا أنَّ تراثَ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ (الفارسيِّ ، وابنِ جِنِّي) في حاجةٍ مُتَجدِّدةٍ لإعادةِ النَّظَرِ والتَّأمُّلِ لاستنباطِ أعاجيبِ الفَهْمِ ، كما فعَلَ ابنُ جِنِّي في كتابِ (التَّذْكِرَةِ) لشَيْخِهِ .

- **هل هناك عالمٌ لغويٌّ تنصحُ بخدمةِ تراثِه تحقيقًا ، ودراسةً ، وتنقيبًا ، وتذوُّقًا ؟**

نعم ، مِنَ القُدماءِ : الصَّاغاني .

ومِن المُحدَثينَ : سيد علي المرصفيُّ .

- **ما أكثرُ كتابٍ من كُتُبِ التُّراثِ حزنتَ على فِقدانِه ؟**

بحمدِ الله لَـمْ أحزَنْ لفَقْدِ كتابٍ قَطُّ ؛ لأنَّ الكُتُبَ كانَتْ متوافرةً في عهدِنا الجميلِ ، ولكنِّي حزنتُ أكثرَ ما حزنتُ علَى احتراقِ كُناشتي ، وكانت في صناديقَ من الكرتون عدَّتُها خمسٌ .

- **ما الكُتُب الَّتي لَـمْ تُحَقَّقْ ، وترَى أنَّها جديرةٌ بذلك ؟**

الكتاب النَّفيس : (الدُّرُّ الفريدُ وبَيْتُ القَصيدِ) لمحمَّد بن أيدمر . وكان الدكتورُ فؤاد سيزكين نشرَ صورةَ المخطوطةِ النَّادرةِ للكتابِ .

- **وما الكُتُبُ الَّتي حُقِّقت ، وترَى ضرورةَ إعادةِ تحقيقِها لأهميَّتِها ، ومكانتِها ؟**

١ . الكتابُ الأوَّلُ ، والأهمُّ علَى الإطلاقِ : (لِسانُ العَرَبِ) . [1]

---

(١) طرحَ الأستاذ صالحُ العَمْري – بعد انقضاءِ الحوارِ – سؤالًا قالَ فيه : « لا شكَّ أنَّ أُستاذَنا الشَّيخَ الجليلَ منصور مهران مِنْ أعلمِ النَّاس بالكُتُبِ وطبعاتِها ، لكنِّي أريد أن أسألَه سُؤالَ مُتَعلِّمٍ لا سؤالَ مُعترِضٍ مُتَعنِّتٍ عن (اللِّسانِ) : لماذا يرَى أنَّه محتاجٌ إلى إعادةِ التَّحقيقِ ؟

وذلك أنَّ عندي نسخةً مُصوَّرةً مِن نشرةِ دارِ المعارفِ لهذا الكتابِ العظيمِ ، حقَّقها الأساتذةُ : عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمَّد الشاذلي ، وقد كنت أرَى في نفسي أنَّ عملَهم عملٌ =

.....

= متقنٌ محكمٌ ، وأنَّه قد يوجد بعض الهفوات القليلة الَّتي لا يخلو منها تحقيقُ كتابٍ كبيرٍ ضخمٍ كـ (اللِّسان) . فهل لشيخِنا الجليلِ منصور مهران ملاحظاتٌ على هذه الطَّبعةِ ؟

وسؤالٌ آخرُ خارجٌ قليلًا عن المقصودِ : هل للشَّيخِ علاقةٌ بأحدٍ من المحقِّقين المذكورين ، فإنَّ عملَهم يدلُّ على علمٍ ، ومع ذلك ليس لهم شُهرةٌ عند طُلَّابِ العلمِ ؟ »

فأجابَ الأستاذ منصور مهران قائلًا : « كنتُ لقِيتُ مُصَحِّحي (لسانِ العربِ) الصَّادرِ عن دارِ المعارفِ بمصرَ بدعوةٍ من الدكتورِ كامل السوافيري الَّذي كان عضوًا في لجنةِ الإصدارِ في ذلك الوقتِ ، ودارَ الحديثُ عن أُسسِ الإصدارِ - كما رآها الأستاذ عبد الله علي الكبير - وأبدى كلٌّ منَّا رأيَه ، وسُجِّل محضر بما دارَ في هذا اللِّقاء ، وكان ممَّا قلتُه لهم :

« الأصولُ المخطوطةُ (للِّسانِ) ليست في متناول الأيدي الآنَ ، واعتمادكم طبعةً واحدة لا يُخرج نصًّا تطمئنُّ له القلوبُ ، فأقترحُ مُقابلةَ (اللِّسانِ) على أُصولِه الخمسة ، والمطبوعُ من هذه الأصول لا يُوثَقُ به أيضًا ، فلا بُدَّ إذن من الأصول الخطِّيَّةِ » .

فوجدوا أنَّ ذلك دونه خَرْطُ القَتادِ ، فاستقرَّ رأيُهم على اتِّخاذِ طبعةِ بولاق أصلًا ، ومقابلتِها على مصادر ابن مكرم - وهكذا أحبُّ أن أُسمِّيَه كمَّا سمَّى نفسَه في كتابِه - ، ورجوتُهم مراعاةَ : تصحيحاتِ العلماء المنشورة والمخطوطة قدرَ الطَّاقة ، ومنها : تصحيحاتُ تيمور ، وتصحيحاتُ العلايليِّ ، وتصحيحاتُ أحمد عبد الستَّار فراج ، وتصحيحاتُ عبد السَّلام هارون - ولم تكن مطبوعةً في كتابٍ في ذلك الوقتِ - . وعند هذا الحدِّ انقطعَتْ صِلَتي باللَّجنة ، وانصرفْتُ . =

.....

= وبعدَ وقتٍ ليس طويلًا وجدتُ الكتابَ في الأسواقِ مطبوعًا مُنَجَّمًا ، كالَّذي فعلَهُ أصحابُ دارِ صادر ببيروت عندَ نشر (اللِّسانِ) لأوَّل مرَّةٍ . وفوقَ ذلك جاءَ الكتابُ علَى غير ترتيب المؤلِّف ، فقد رتَّبوه حسب حروف الهجاءِ ، ولم يكنْ في الحسبانِ فكرةُ إعادةِ التَّرتيب على هذا النَّحو ، فعددتُها طبعةً مدرسيَّة ليست لأيدي أهل العِلْمِ والتَّحقيقِ ، وإن كنتُ أثِقُ بضَبْطِ مُصَحِّحيها ، فألتمس فيها أحيانًا صوابًا أنشدُه ، أو وجهة نظرٍ أبتغيها .

ووجدتُ الإخوةَ المصحِّحين يقولون عن طبعتِهم : « وهذه الطَّبعةُ الجديدةُ تفضُلُ الطَّبعاتِ السابقةَ بما يأتي :

١- مقابلة النُّسخةِ الَّتي اعتمدناها أصلًا على المصادرِ الَّتي استقى منها ابنُ منظور مادَّة مُعجَمِه وهي : (الصّحاح) للجوهريِّ ، و(حاشيته) لابن برِّي ، و(تهذيب اللُّغةِ) للأزهريِّ ، و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سِيدَه ، و(النِّهاية) لابن الأثير ... » اهـ

فقلتُ في نفسي :

١. لَمْ يذكروا النُّسخة الَّتي اتَّخذوها أصلًا : أهي مخطوطةٌ أم مطبوعةٌ ؟ وما وَرَدَ في الحواشي من لفظ (هكذا في الأصل) ليسَ من كلام المصحِّحينَ ، بل هو مِن نسخةِ بولاق ، ونسخةِ دارِ صادر المطبوعةِ عن نُسخةِ بولاق .

٢. (حاشية ابن برِّي) في وقتِ الطِّباعة كانَ المعروفَ منها جزءٌ واحدٌ ، هو الَّذي طُبع في مجمع اللُّغة العربيَّة ١ و ٢ حسب تجزئة النَّشر ، و(الصحاح) المطبوع بتحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار لا يتضمَّنُ (حواشي =

٢. ثمَّ : (العُبابُ) للصَّاغانيِّ .

٣. و(أدبُ الكاتبِ) لابنِ قُتيبةَ .

= ابن برِّي) ؛ فكيف رجعوا إلى هذه الحواشي ؟ وهي إلى اليومِ غيرُ تامَّةٍ بعدَ ظهور جزء ثانٍ منها صدَرَ عن مركز الملك فيصل بأخَرَةٍ .

٣. (المُحكَم) لابنِ سِيدَه كان قد صدرَ نصفُه أو أكثر قليلًا في ذلك الوقتِ ، فكيف تسنَّى لهم الاطلاعُ والاستفادة مِن باقيه ؟

لم يذكروا شيئًا عن ذلك .

٤. (الصحاح) المطبوع بتحقيق عطَّار تختلفُ عباراته أحيانا عمَّا وردَ في (اللِّسان) .

٥. أدخل المصحِّحون في صُلْب الكتابِ في المواضعِ الَّتي كانَتْ بياضًا ما يُتَمِّمُ القَوْلَ ، وكانَتِ الحواشي أَوْلَى بهذه الزِّياداتِ .

هذه الملاحظاتُ تجعلُني أتحفَّظُ عن تسميةِ هذا العَمَلِ تحقيقًا . ورُبَّما أكونُ واهمًا ، فيقيِّض اللهُ رجالَ صدقٍ وحقٍّ فيوجِّهونَني إلى صوابِ الرَّأيِ ، وتصحيح الفِكْرِ .

ومع ذلك فإنَّ اجتهادَ المصحِّحين جَعَلَ الكتابَ مقروءًا على نحوٍ صحيحٍ ، وأضافوا فوائدَ كثيرةً في الحواشي المبثوثةِ في الكتابِ ، فلهم منَّا الشُّكر والعرفانُ .

هذا عن الكتابِ ، أمَّا عن فهارسِه فأحسبُ أنَّ صنيعَ خليل أحمد عمايرة وزملائه أفضلُ كثيرًا من صنيعِ مُصحِّحي طبعة دار المعارف .

هذا ، وبالله التَّوفيق » اهـ

٤. و(الحُجَّةُ للقراءاتِ السَّبعِ) لأبي عليٍّ الفارسيِّ ؛ فالتَّحقيقُ الأوَّلُ لم يَتِمَّ ، والثَّاني لا يُلَبِّي أمنيةَ أبي عليٍّ الفارسيِّ لكتابِهِ .

وأخبرَني أحدُ الفُضَلاءِ – وهو مِن هيئةِ التَّدريسِ بجامعةِ الإمامِ محمَّد بن سعودٍ بالرِّياضِ – أنَّ أحدَ الأساتذةِ في جامعةِ دمشقَ يُحقِّق كتابَ (الحُجَّةِ) ، ويُوشكُ أن ينتهيَ مِن تحقيقِه ؛ أسألُ اللهَ له التَّوفيقَ والسَّدادَ .

- **ما أبرزُ الكتبِ الـمفقودةِ الَّتي قرأتَ أسماءَها في كتبِ التَّراجمِ ، وتـمنَّيتَ أن يُعثَرَ عليها ؟**

هي كتبٌ كثيرةٌ بكثرةِ المفقودِ مِن كتبِ الأمَّةِ ، ولكنِّي لَـمَّا قرأتُ في (تفسير الطَّبَريِّ) كثرةَ القراءاتِ الَّتي يتحدَّثُ عنها في تفسيرِه ، تمنَّيتُ لَو وُجِد كتابُه في القراءاتِ ، فقد أخبرتْنا عنه كتبُ التَّراجِمِ ، وافتقَدَتْهُ أيدي النَّاسِ ، فلا ذِكْرَ له في فهارسِ المخطوطاتِ في العالَمِ .

- **ما الكُتُب الَّتي حقَّقها الشيخُ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، ولم ترَ النُّورَ بَعْدُ ؟**

١. أهمُّها : (شَرْحُ مُغني اللَّبيبِ) .

٢. ثُمَّ : باقي (شَرْحِ الأشمونيِّ) .

٣. ثمَّ : (ديوانُ الشَّريف الرِّضِيِّ) بشرحِ الشيخِ .

- **وهل هناك مَن يَسْعَى في إخراجها لطُلَّابِ العلمِ ؟**

لا أعلمُ أحدًا مِن تلامذتِه يَنْشَطُ لمثلِ ذلكَ ، فمُعظمُهم اليومَ في رحابِ الله .

- **هَل بَقِيَ من تُراثِ الشَّيخِ محمود شاكر ، والطناحيِّ شيءٌ لم يُطبَعْ ؟**

يُسألُ عن ذلك أخوايَ : الدكتور فهر محمود شاكر ، والدكتور محمَّد محمود الطناحيُّ . ولكنْ أخصُّ بالتَّنويهِ :

١. كتابَ (الشِّعر) لأبي فِهرٍ .

٢. وكتاب (النِّهاية في غريبِ الحديثِ) في تهيئتِه الَّتي أتمَّها له أبو أروَى - وكانت كُنْيَةَ الطّناحيِّ قبلَ أن يُرزقَ مُحَمَّدًا - .

- **هناكَ كُتُبٌ كثيرةٌ جِدًّا في العَرَبيَّةِ طُبِعت قديمًا ، ثُمَّ لَـمْ يُعَد تحقيقُها بعدَ ذلك ، فلا يستطيعُ طالبُ العلمِ أن يحصُلَ عليها إلَّا بالكُلْفةِ والمشقَّةِ ، مع كونها أُصولًا في بابِها ، فلِمَ يتثاقَلُ كثيرٌ مِنَ المحقِّقين عن إعادةِ تحقيقِها لتكونَ مُتاحةً للقارئِ ، والباحثِ ؟**

هذه مهمَّةُ أساتذةِ الدِّراساتِ العُليا ، فلمـاذا لا يُوجِّهونَ طُلَّابَهم إلى تحقيقِ هذه

الكتبِ ؟! بدلًا من الهزلِ والغُثاءِ الَّذي يتخرَّجُ عليه هؤلاء الطُّلَّابُ المساكين .

- **هل ترَى في هذه الأيام خمودًا ، وضعفًا في تحقيقِ كتبِ العربيَّة ، والتَّأليفِ فيها ؟**

أمَّا التَّحقيقُ ، فليس فيه خمودٌ ؛ لأنَّ الجامعاتِ العربيَّةَ تموجُ بالنُّصوصِ الَّتي حُقِّقَتْ وتُحَقَّقُ لنيلِ الشَّهادات العُليا ، وإنَّما الخُمودُ في نشرِ هذه المحقَّقاتِ .

وأمَّا التَّأليفُ في العربيَّةِ ، فكثيرٌ جِدًّا ، ولكنَّها في كثرةِ الغُثاءِ !

- **مَن أوَّلُ مَنِ اهتمَّ بفهرسةِ الكتبِ مِنَ المحقِّقين ؟**

لعلَّ أوَّلَ المعنيِّينَ بالفهرسةِ في الجيلِ الماضي هو أحمد زكي باشا (رئيسُ النُّظَّار) .

- **وهل هذا العَمَلُ مستفادٌ من المستشرقينَ ؟**

لا . واقـرأْ إن شئتَ مقدِّمةَ (سُنـنِ التِّرمذيِّ) الَّتي كتبَها الشَّيخُ أحمد محمَّد شاكر ، وأثبتَ فيها أنَّ عُلَمـاءَ هذه الأُمَّةِ المُبارَكة هُمُ الأسبقُ في عَمَلِ الفهارسِ . وبحقٍّ فإنَّ هذه المقدِّمةَ تُكتَبُ بسلاسلِ الذَّهَبِ .

***

* أسئلةٌ عن بعضِ كُتُبِ العربيَّة *

- **ما أَوْسَعُ كُتُبِ النَّحْوِ ؟ وما أحسنُها في رأيِكَ ؟**

لعلَّ أوسعَها (شَرْحُ الشَّاطبيِّ علَى الألفيَّةِ) ففيه نفائسُ الفوائدِ . أمَّا عن الحسَنِ عندي ، فـ(شَرْحُ الرَّضيِّ علَى الكافيةِ) ؛ لأنَّه يُغنيكَ عن كثيرٍ من كُتُبِ النَّحْوِ .

- **هل ينصحُ الأستاذُ منصور مهران بقراءةِ المعاجمِ الموسَّعةِ قراءةً كاملةً ؟**

هكذا فعلتُ ، وأفعلُ دائمًا ، ففيها مُتعةٌ ، وفائدةٌ بالغةٌ .

- **وما أفضلُ المعاجمِ في نظَرِه ؟**

(تاجُ العروسِ) ؛ لأنَّه أضخمُ مَعْلَمةٍ عربيَّة ، ولأنَّه المعجمُ الوحيدُ الَّذي نالَ عنايةَ جمعٍ غفيرٍ من المحقِّقينَ ، فغدا أظهرَ عَمَلٍ يليقُ بالقراءةِ .

- **كتابُ (البحرِ المحيطِ) لأبي حيَّانَ الأندلسيِّ مِنَ الكُتُبِ المهمَّة لطالبِ العربيَّة ، فهل حُقِّقَ هذا الكتابُ تحقيقًا يليقُ به ؟**

أمَّا عن تـحقيـقِه فـقد علمنا أنَّه حُقِّـقَ كُلُّه أو جُـلُّه في عدَّةِ جامعـاتٍ .

وأمَّا أنَّ التَّحقيقَ يليقُ به فهذا نُدركُه عندَ صدورِ الكتابِ - إن شاء الله - .

- **(شَرْحُ المفصَّلِ) لابنِ يعيش (ط : المنيريَّة) ، مَن العلمـاءُ الَّذين شاركوا في تصحيحِه ، والتَّعليقِ عليه ؟**

سمعتُ مِن مشايخي أنَّ هذه الطَّبعةَ برُمَّتِها بتصحيحِ محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد ، فتعليقاتُه هي المبثوثةُ في حواشي الكتابِ . وسمعتُ مثلَ ذلك مِن أخي وصديقي الدكتور محمود محمَّد الطناحيِّ رَحِمَهُ اللهُ ، وكأنِّي قرأتُ له كلامًا حولَ هذا في بعضِ كُتُبِهِ ، ولكنْ غابَ عنِّي مَوضعُه .

- **ذكر الأستاذُ عبدُ العزيز الميمنيُّ رحِمَهُ اللهُ أنَّه عَثَرَ على نسخةٍ كاملةٍ من (تُحفةِ المجدِ الصَّريحِ) لأبي جعفر اللَّبْليِّ ، وكان ينوي نشرَها ، ولكنَّ المنيَّةَ عاجلَتْه دونَ ذلك ، ولم يُوقَفْ لها أيضًا على خبرٍ بعدَ وفاتِه ، فهل عندَكم شيءٌ مِنْ خبَرِها ؟**

كنتُ سمعتُ يومًا أنَّ دارَ المعارفِ يومَ عَزَمَتْ على إصدارِ (سلسلة ذخائرِ العَرَبِ) أسندَتِ الإشرافَ علَى هذه السِّلسلةِ إلى طه حسين وأحمد محمَّد شاكر ، فنصَحَ أحمدُ أخاه محمودًا أن ينهدَ إلى تحقيقِ (تحفةِ المجدِ الصَّريح) لطُولِ باعِه في اللُّغةِ والأدبِ ، ولكنَّ الشيخَ محمـودًا آثرَ الاشتغالَ بـ (طَبـقاتِ فُحولِ الشُّعراءِ) ، ومضَى

زمنٌ طويلٌ ، وعندما ذُكِّرَ الشيخُ بنصيحةِ أخيه كانَ قد نَسِيَ أمرَ هذا الكتابِ ، وبقيتِ الحادثةُ كأنَّها طَيْفٌ لا تتبيَّنُ ملامحُهُ .

والسُّؤالُ : مَن الَّذي أعلمَ الشَّيخَ أحمد شاكر بأمرِ هذا الكتابِ ؟

تنحصرُ الإجابةُ في رجلَيْن : إمَّا الميمني ، وإمَّا خيري باشا صاحب أضخم مكتبةِ مطبوعاتٍ ومخطوطاتٍ .

فأمَّا الميمنيُّ فقد كان يعلمُ بأمرِ الكتابِ حتمًا ، وقد ذكرَ ذلك في مقالةٍ نشرَها في (مجلَّة المجمع العلميِّ العربيِّ بدمشق) [مجلد ٣٧ / ج ٣ / ص ٥٢١] .

وأمَّا خيري فمِنَ المظنونِ أنَّه مَلَكَ نسخةً تامَّة من (التُّحفةِ) كالَّتي ذكرَها الميمنيُّ - ونتبيَّن ذلك مِن مقالةِ الشَّيخِ محمد الطَّاهر ابن عاشور المنشورةِ في (مجلَّة المجمعِ العلميِّ العربيِّ بدمشق) [مجلد ٣٧ / ج ٢ / ص ٢٠٥] - ، فقد قال : « وقد أخبرَني صديقي الأُستاذُ الجليلُ السيِّد حسن حسني عبد الوهَّاب أنَّه اطَّلَعَ علَى نُسْخةٍ من (شرحِ اللَّبْلِيِّ على الفَصيحِ) بخطٍّ أندلسيٍّ عندَ أحمد خيري المصري ، وسألتُ الأستاذَ حسن حسني عبد الوهَّاب : هل يتذكَّر تلك النُّسخة (تحفة المجد الصَّريح) أو اختصاره ، فلم يتحقَّق في ذلك . وليس يبعدُ أن تكونَ هذه النُّسخةُ هي الَّتي كانت

في تونس ، وصارت إلى مصرَ مباشرةً ، أو تناقلَتْها الأيدي بواسطةِ بَعْضِ تُجَّارِ الكتبِ الَّذين كانت لهم صِلةٌ مع القاهرةِ وغيرِها من البلادِ ... » اهـ

ومكتبةُ روضة خيري كانت ذائعةَ الصِّيتِ ؛ لِـمَا تحوي مِن الذَّخائرِ ، وقد كتبَ السيِّد عبد السَّلام النَّجَّار مقالًا في (مجلَّة معهد المخطوطات) [المجلد ٦/ ص٥٩٠] في وصفِ نوادرِ مخطوطاتِ روضة خيري ، وكان سيُتبِعُه بمقالاتٍ أخرَى ، ولكنَّه توقَّفَ ، ولم يذكر في هذه المقالةِ (تحفةَ المجدِ) .

أما نيَّة الميمنيِّ في نشرِ هذا الكتاب فلا أتحقَّقُ منها ؛ لأنَّ كلامَه في مقالتِه : « وأنا مُزْمِعٌ علَى بَثِّ سِرِّه ونَشْرِ خَبيئِهِ لِكُلِّ مَنْ أستوثِقُ منه بنَشرِه وإحيائِه إن شاء اللهُ » = لا يُوحي بتلك النِّيَّةِ .

واللهُ المستعانُ .

- **ما أفضلُ طبعةٍ لـ(حماسةِ ابن الشَّجَرِيِّ) ؟**

كنتُ أمتلكُ مِن (الحماسة الشَّجَرِيَّة) طبعتَها الهنديَّة ، فلَمَّا وقعَتْ في يدي طبعةُ وزارة الثَّقافة السُّوريَّة بتَحقيقِ عبد المعين الملوحيِّ ، وأسماء الحمصي سنة ١٩٧٠ م في مُـجَلَّدَيْن ، شراءً بمبلغ قدره ستَّة وعشرون قرشًا مصريًّا ، استغنـيتُ بـها عن الطَّبعة

الأُولَى ؛ لأنَّ طبعةَ الملوحيِّ مُتقنةُ التَّحقيقِ ، وليسَ لها ثالثةٌ يُمكنُ أن تدخُلَ مجالَ المُفاضَلةِ .

- **هل جميعُ ما في (نقائضِ جَريرٍ والفَرَزْدَقِ) موجودٌ في ديوانَيْهِما ؟**

مِن قراءَتي فيه وجدتُ اختلافًا في روايةِ بعضِ الأبياتِ ، ووجدتُ أبياتًا في (النَّقائضِ) أخلَّتْ بها بعضُ طبعاتِ ديوانَي الشَّاعرَيْن ، ووجدتُ اختلافًا في ترتيبِ بعضِ القصائدِ . وفي الجملةِ فإنَّ شِعْرَ جريرٍ والفرزدقِ في (النَّقائض) موجودٌ في ديوانَيِ الشَّاعرَيْنِ .

وحديثي عن (النَّقائض) هنا من طبعةِ المجمعِ الثَّقافي بدُبيٍّ .

- **ذكرتُم في إحدَى مشاركاتِكم أنَّ الطَّبعةَ الثَّانية (للعِقد الفريدِ) قرأَها وصحَّحَها الشَّيخُ محمود شاكر ، فهل هناك كتبٌ أخرَى اعتنَى بها الشَّيخُ ، أو صحَّحها ، ولم يُشِرْ محقِّقوها إليه ؟**

هذا الكتابُ له وقْعٌ معيَّنٌ في نفسِ الشَّيخ لموضوعِه ، ولمكانةِ المحقِّقِ في قلبِ الشَّيخِ ، ولا أعرفُ للحادثةِ نظيرًا . ويجدرُ الإشارةُ إلَى أن الشَّيخَ هو الَّذي أصرَّ علَى عدم ذِكْر اسمِه ، فامتثلَ سعيدٌ العريان لرغبةِ الشَّيخِ .

- **ما رأيكَ في (مُعْجِزِ أحمدَ) ؛ هل هو ثابتُ النِّسبة إلى المعرِّيِّ ؟**

عندما قرأتُه أوَّلَ مَرَّةٍ أحسستُ بلغةٍ غريبةٍ غَيْرِ لُغَةِ أبي العَلاءِ ، ثُمَّ قرأتُ للنُّقَّادِ ما أكَّدَ صِدْقَ نَظْرَتي ، وَلَـمَّا صَدَرَ (اللَّامِعُ العَزيزِيُّ) بَلغتُ حَدَّ اليَقينِ أنَّ الكتابَ المنشورَ في دار المعارفِ بمصرَ تحتَ عنوان (مُعْجز أحمدَ) إنْ هُوَ إلَّا شَرْحُ مُدَرِّسٍ للصِّبيانِ يُريدُ أن يُبَصِّرَ تَلاميذَهُ بمعاني شِعْرِ أبي الطَّيِّبِ .

- **ما رأيُكَ بشروح (التَّلخيص) ، و(الإيضاح) في البلاغةِ ؟ وهل تُوافقُ الشَّيخَ محمود شاكر – في مقدِّمةِ تحقيقِه لـ(أسرارِ البلاغةِ) – على أهميَّتها ، والدِّفاع عنها ضدَّ من يذمُّها ، ويحثُّ النَّاسَ على الإعراضِ عنها ، والاستهانةِ بها ؟**

كتابُ (التَّلخيص) ، والشُّروح والحواشي الَّتي عليه تُمَثِّلُ ثروةً عقليَّةً جبَّارةً لا يُمكنُ الاستهانةُ بها ، وقد تربَّتْ عليها أجيالٌ مديدةٌ ، وأثمرَتْ فِكْرًا جديدًا لا نُنكِرُ فضْلَهُ ، والعيبُ الكبيرُ في التَّعَلُّمِ من هذه الثَّروة أنَّها تُؤخَذُ بشكلِ القواعدِ ، وتظلُّ في المحفوظِ هكذا خاليةً مِنَ التَّمَرُّسِ بأساليبِ القرآنِ ، والأحاديثِ ، والشِّعرِ ، ومعالجاتِ المتفنِّنين مِن المفسِّرين البلاغيِّين . ووالله لقد استمعْنا إلى محاضرةٍ ألقاها الدكتورُ محـمَّد محمَّد أبو موسى بعنوان (البلاغة الطَّريق إلى تفسير الكتابِ والسنَّة) – تجدونها في (ملتقى أهلِ التَّفسير) – فيها جوابٌ كافٍ شافٍ لهذا السُّؤالِ .

- **ما قيمةُ كتابِ (تاريخ آدابِ العَرَبِ) للرَّافعيِّ ؟**

هذا الكتابُ أحدُ آثارِ الرَّافعيِّ ، أو قُلْ : أحدُ أبنائِه ، فقيمتُه لأُسرَةِ العربيَّة كقيمةِ الابنِ مِن أُسرة الرَّجُلِ . أمَّا قيمتُه العِلميَّةُ ، فلا يُمكِنُ إغفالُ مُؤَدَّاها في يومٍ من الأيَّامِ . ولَـمَّـا اختلفَتْ مَناهجُ الدَّرس في دُور العِلْمِ ، ترك الموجِّهون كتبَ الجيلِ الـمـاضي ، فظنَّ بعضُ أبناءِ العَهْدِ الحاضرِ في قراءةِ كُتبِ السَّابقين مضيعةً للوَقتِ ، أو – إذا أحسنوا الظَّنَّ – أنَّها قليلةُ القيمةِ ، وقليلةُ الجدوَى .

- **ما الكُتبُ المعاصرةُ في اللُّغة الَّتي كُلَّما رأيتَها أكبرتَها ، وعجِبتَ من هِمَّة أصحابِها ، وتوفيقِ الله لهم في تأليفِها ؟**

أذكرُ كتابًا عنوانُه (الموسوعةُ العربيَّةُ في الألفاظِ الضديَّةِ والشَّذراتِ اللُّغويَّة) جمعه محمَّد السماوي اليمانيُّ ، وطُبِعَ في مركز الدِّراساتِ والبحوث اليمنيِّ بصنعاءَ ، وصدرَ في تسعةِ أجزاءٍ .

* * *

* وصايا نافعةٌ *

- **كيفَ أُحِبُّ العربيَّةَ ، وأتعلَّمُ مِنَ النَّحْوِ ما أُقيمُ به لساني ؟ فقد عانَيْتُ في ذلك معاناةً شديدةً حتَّى كِدتُّ أفقِدُ الأمَلَ .**

أكثِرْ مِن قِراءةِ القُرْآنِ بصَوتٍ تَسْمَعُهُ ، وكذلكَ قراءة الشِّعرِ .

- **مَن الأُدَباءُ ، والبلاغيُّون ، واللُّغويُّون المعاصِرون الَّذين يُستفادُ مِنْ عِلْمِهِم ، وأدَبهم ؟**

هم - بحمدِ الله - كثيرٌ ، ووسائلُ الاتِّصالاتِ الحديثة تُوصِلُك بهم جميعًا بلا عناءٍ .

أمَّا عن النَّصيحةِ : فاقرأْ بغيرِ مَلَلٍ ، فالجيِّدُ ينفعُ بعلمِه ، والرَّديءُ يُبَصِّرُكَ بمواطنِ الرَّداءةِ حتَّى لا تقعَ فيها .

- **الإنترنت أضاعَ أوقات كثيرٍ من طلبةِ العلمِ ، وفي المقابلِ صارَ حلقةَ وَصلٍ بينَهم للمُذاكرةِ ، ومسامرةِ العِلْمِ . ما أثرُ الإنترنت فيكم سَلبًا ، وإيجابًا ؟**

اعتدتُ أن أُفيدَ مِنَ المخترعاتِ بقدرِ ما يُصلِحُ وقتي ، ويصونُه عنِ الضَّياعِ ،

وهذه الشبكةُ لقيتُ منها منافعَ كثيرة ، أهمُّها : سرعة التَّوصيل ، وسرعة التَّواصل ، فهذا بعضُ الإيجابِ .

وأمَّا السَّلب فحدِّثْ ولا حرجَ ، وحسبُك من فسادِ الشَّبكات الهدَّامة ما صنعته بالأُمَّةِ العربيَّةِ في عام ٢٠١١ م ، نسألُ اللهَ السَّلامةَ .

- **هل مِن كلماتٍ مُضيئاتٍ ، ووصايا نافعاتٍ حفظَها الأستاذُ منصور مهران مِن مشايخِ التَّحقيقِ الَّذين جالسَهم ؟**

جميعُهم يوصون بالمثابرةِ في القراءةِ ، وعدمِ التَّسرُّعِ بالتَّخطئةِ ، أو التَّصويبِ قبلَ التَّبَحُّرِ والإحاطة حتى يُبلَغَ مبلغَ اليقينِ .

- **ما أمانيُّكم وطموحاتُكم الَّتي ترجون أن تتحقَّقَ ؟**

أعظمُ أمانيَّ أنْ أرَى أُمَّتي تقولُ كلمتَها بلا توجيهٍ مِن خارِجِها .

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

* اقرأ في هذا العدد *

عضو أم عضوة ؟
ومسائل أخر

فيصل المنصور

ص (٥)

من حلقة النحو والتصريف

التشبيه المعكوس
والكلام على بعض شواهده

صالح العمْري

ص (١٩)

من حلقة البلاغة والنقد

فتاوى
عروضية

محمود محمد محمود مرسي

ص (٣٤)

من حلقة العروض والإملاء

ضبط اسم كتاب

الصحاح
بين الفتح والكسر

أحمد سالم الشنقيطي

ص (٤٥)

من حلقة فقه اللغة ومعانيها

تنبيهات على مواضع من كتاب الوحشيات (٢)

صالح العمْري

ص (٥٤)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

بوادر الإيعاد

الشاعر صالح العمْري

ص (٧٧)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

مصارمة

الشاعر محمد محمد مقران

ص (٨١)

من حلقة الأدب والأخبار

قصيدة

وكن من الشاكرين

الشاعر رضوان بن محمد

ص (٨٣)

من حلقة الأدب والأخبار

صمم الحياء وخرس العفة

محمود سعيد

ص (٨٥)

من حلقة الأدب والأخبار

حوار الملتقى للأستاذ

منصور مهران

حفظه الله تعالى

ص (٨٧)

من مضطجع أهل اللغة

* فهرس الموضوعات

ص (١٢٢)